

المفهرس

صفحة

- أندونيسيا اليوم ... : الأستاذ محمد جبري ... ٣
- التورخ الجغرافي للسعودي ... : الأستاذ علي آدم ... ٦
- العلماء في التحايا والجماعات ... : الأستاذ أحمد طه السنوسي ... ١٠
- دراسات في الأدب المصري الحديث :
- الحليل ... : الأستاذ عبد السميع المصري ... ١٣
- في النقد الأدبي :
- صور طريق من معلقة قديمة ... : الأستاذ جميل الدين الرمادي ... ١٦
- روائع الأدب العربي في سطور :
- قصة يثر إيتسون ... : ترجمة الأستاذ مبارك إبراهيم ... ١٩
- نقد الكتب :
- كانت لنا أيام ، ديوان شعر للشاعر السوري { الأستاذ محمد عبد الفتاح حسن ... ٢٢
- عمر النص ... : ... : الدكتور حسين فوزي : الدكتور حسين مؤنس ... ٢٦
- بكر أمه :
- هيرونا والطقل ... : ترجمة الأدب حسين أحمد أمين ... ٢٨
- لغائه :
- غضب حناء ... : الأستاذ محمد محمود ... ٣٠
- قناة ... : ... : الأستاذ زهير أحمد ... ٣٠
- إلى القصيدة ... : ... : الأستاذ حسن توفيق قاتق ... ٣١
- أسبوعية الشطرنج ... : ... : ... ٣١

تمن العدد ٢ قرشان صاغاً

الثقافة

AL-THAQAFa

رئيس التحرير الدكتور

محمد عبد الواحد مؤمن بك

مؤسسة

صاحب المنشور

الدكتور أحمد أمين بك

١٧ شارع سعد زغلول ، القاهرة . هاتفون ٤٢٩٩٢ - ٥٦٧٦٩

العدد ٦٠٩ الأتيل ١٤ من ذي القعدة سنة ١٣٦٩ - ٢٨ من أغسطس سنة ١٩٥٠ السنة الثانية عشرة

مسيرة من الجهاد في الشرق بمناسبة إحياءه ومرة الفروغ الأندونيسية يوم ١٧ أغسطس ١

اندونيسيا اليوم

بحث تاريخي سياسي

للأستاذ محمد جنيدي



الحديث اليوم عن التطورات السياسية في اندونيسيا هو الحديث عن الحركات القومية للشعوب الإسلامية في جميع أنحاء المعمورة لتحرر من الاستعمار الغربي. وقد دخل اليوم اندونيسيا في عهد جديد ، عهد الوحدة ، عهد الإتحاد ، فقد ألغت الولايات المتحدة الامريكية ، وأصبحت اندونيسيا حكومة الجمهورية الإندونيسية . وحبيبنا إلى أن أهدم الفارسي الكرم في هذا القال للوجر عتاً تاريخياً سياسياً يتعلق بموضع الإندونيسي التاريخي والسياسي منذ بدأ الاستعمار الغربي حتى اليوم ، لتؤكد ثقافته العامة ، ولتؤكد على مدى قوة الحركات التحررية في الشرق الأدنى .

إندونيسيا هي مجموعة جزائر الهند الشرقية ، وتضم ما يزيد على ألفي جزيرة ، منتشرة بين القارة الآسيوية والقارة الأسترالية . وأهم هذه الجزائر من ناحية السكان والإنتاج الزراعي والصيد ولقد تم الثقافة والعلوم ، جزر جاوا وسومطرة وبورنيو وسيليس . أما جزيرة جاوا فهي مركز الثقافة والآداب ، ومهد الحركات القومية ، وجمع الأوربيين من مستعمرين ورجال تجارة وصناعة وعلوم .

والأهم من هذا هو أنها قد مهدت في البداية الثانية بعد جزيرة جاوا من حيث الحضارة والدين ، لأن الشعبين لم يلتقيا إليها كثيراً ، فلم يستقوا ثرواتها المعدنية والثانية إلا قليلاً ، وتقدم الحياة الثقافية والعمرانية والاقتصادية في شرقها

وعربها ، وذلك لحبس التربة في شرقها ، ولشاط السكان في غربها .

وإذا نظرنا إلى جزيرة سومطرا من ناحية الانحلال لعادتها وبساتينها ، فيمكن أن نخبرها بالأدلة كبراً ، ثم نستقل بعد . فهي غنية بالمعادن والنباتات الطبية التي تحتاج إليها العلم ، وتوجد في أواسطها آثار البزوك ، كما توجد في شرقها حقول المطاط ، وكما توجد في غربها منابع الفحم الحجري ، وتلك الشركات المولدية حل هذه الحقول والناجم . وشكل هذه الجزيرة الهدف الأول لبرنامج الانتعاش الذي قررت الحكومة الإندونيسية تنفيذ في الوقت الحاضر ، وقد جلبت إليها الملاحة للخدمات والآلات الزراعية من الفلبين . وترعت الحكومة الإندونيسية باستغلال رءوس الأموال الأجنبية فيها ، لتعطي الحرية لتصادماً ومحاربا . وبلغ عدد سكانها عشرة ملايين نسمة .

وأما جزيرة سلبيس تقع في شرق إندونيسيا ، وتحتها عدة جزر صغيرة ، وتقع في شمال هذه الجزيرة مقاطعة (منادو) . وهي مقاطعة يسكنها المسيحيون الإندونيسيون ، ويعتزون عن بقية سكان هذه الجزيرة بالفضل ، والاعتزاز ، إذ أن هولندا لما استعمرت إندونيسيا قبلت بها كإقليم لهم ، كما أصبحت المجال لسكان ولاية (منوكو) أن توجد في جنوب هذه الولاية مقاطعة أخرى هي مقاطعة (أمبون) . وسكانها كما هو اسم سكان مقاطعة (منادو) من حيث الثقافة والتعليم . وخلال العهد الهولندي السابق كانت قوات جيش حكومة الهند الشرقية متخفين من سكان مقاطعة (منادو) و (أمبون) ، ثقة هولندا في ولايتهم لها ، ولعدم حاجهم في البعثات المولدية في إندونيسيا ، وزاوجة القردة الحديثة . وقد استقل الهولنديون هذا الولاية ، وهذه الزاوجة فتوا روح الشرقة والبغض والكراهية بين سكان هاتين المقاطعتين وبين إخوانهم الإندونيسيين سكان الجزر الأخرى الذين يدينون بالقبلة الإسلامية . ولا ننسى أن هؤلاء الإندونيسيين قد لعبوا دوراً هاماً بل شاد السلطة الهولندية في مناهضة الحركات القومية خلال أربعين عاماً (١٩٠٨ - ١٩٤٨) . فقد كانوا البؤس الخرق لمجموعة الهند الشرقية ، وكانوا يمثلون الشرطة العسكرية للشمرة . وبعد أن أعلنت إندونيسيا استقلالها كان بعض زعماء ولاية بلوكو

وسلبيس من سكان مقاطعة (منادو) و (أمبون) كالدكتور ليندا ، والدكتور راتولانجي ، والدكتور هار هاري ، والمهندس فونجينا ، كانوا المجموعة الأولى في صرح الاستقلال والأساس الأول في بناء الجمهورية . وقد قدما جيش حكومة الهند الشرقية الذي يشكل السواد الأعظم من سكان مقاطعة (أمبون) و (منادو) متديماً في جيش الجمهورية الإندونيسية عن رغبة وإخلاص في خدمة الجمهورية التي رمز إلى الديمقراطية الحقة ، إلى المساواة التامة بين جميع سكان إندونيسيا المعظم .

ومن أهم إنتاج جزيرة سلبيس « التوابل » . وقد اشتهرت بها منذ ظهور سحفة ، وهذه « التوابل » هي مصدر الدخل لأندونيسيا ، إذ دخل إليها الأوروبيون في القرن السادس عشر ، وصاروا يطلقون « التوابل » منها عبر الشرق الأدنى إلى أوروبا ، ثم توسعت تجارة « التوابل » فأنتجت في الآت شركات إسلامية وبرتغالية وهولندية وإنكليزية ، ثم أصبحت الشركات المولدية في حصا وكوت (شركة الهند الشرقية) في عام ١٦٠٥ . وركزت بذلك أقدام المستعمرين في إندونيسيا ، وعقدوا حين الانقلاص التجارية مع بعض الموانئ بحرية جاوا وأمراتها ، وحلوا من مدينة (جاكرتا) مركزاً رئيساً للتجارة الأوروبية . ولما سلفت الشركة أمورها إلى الحكومة الهولندية في القرن الثامن عشر ، أصبحت إندونيسيا مستعمرة هولندية . أبدل الهولنديون اسم المدينة (جاكارا) إلى اسم هولندي هو (باتايا) . وهو اسم لمقاطعة في هولندا ، ثم أعيد الاسم الأول إلى هذه المدينة بعد أن تحررت إندونيسيا في السابع عشر من شهر أغسطس عام ١٩٤٥ .

والحياة الثقافية والزراعية في جزيرة (سلبيس) تتقدم بحمل ثامة ، وهي أحسن الجزر الإندونيسية الواقعة في شرق إندونيسيا من حيث الحضارة والمدينة . ولما عقدت اتفاقية الجارجان بين الحكومة الأندونيسية والحكومة الهولندية رفضت هولندا أن تضم الجمهورية الأندونيسية جزيرة سلبيس . وقد شكلت فيها حكومة أندونيسية سورية لا جيش لها ولا علم ولا قود . وفي هذه الجزيرة أباد الهولنديون للمستعمرين بقيادة الكابتن (وسترلج) الهولندي أربعين ألفاً من الأندونيسيين في عام ١٩٤٦ .

ولم تشلح حكومة أندونيسيا الصربية التي أقامها الهولنديون
تعمل مسئولة هذه الإدارة . واحتلت الحكومة الأندونيسية
بمساعدة الحكومة الهولندية على ما قامت به الجيوش الهولندية
من القاطع التفتت على القاطع التفتت في جزيرة سيليبس .
ولا تزال هذه السطة الخطيرة معلقة بين الحكومة
الأندونيسية والحكومة الهولندية ، وستأتي في يوم من
الأيام ... ويبلغ عدد سكان هذه الجزيرة اثني عشر مليون
نسمة .

وهذه الجزيرة الرابعة التي تشتمل إحدى الجزر
الأندونيسية الكبرى ، وهي جزيرة (بورنيو) . وهي
أكبر جزيرة في العالم . كانت تستعمرها هولندا وباكثا ،
وقد زال الحكم الهولندي ضد المراء الهولندي إلى حظيرة
الجمهورية الأندونيسية . وأما الجزر الانكليزي وهو يشمل
التيال التي لحده الجزيرة ويحرف تقاطعة (سراوك)
فلا يزال تحت النفوذ الانكليزي .

والجياة الثقافية والصناعية في هذه الجزيرة لم تقدم
بعد ، رغم وجود مائتين حيوانيين قدام ، وما الذهب
والبترو . وقد بدأ في استخراج البترول في هذه الجزيرة
في نهاية القرن التاسع عشر ، قدامت كمها من البترول
شرق هذه الجزيرة حقولاً بترول . وسيلندية (ناراكان)
الواقعة في شرق هذه الجزيرة أكبر مصدر البترول في
الشرق الأقصى ، فيها حقول البترول الواسعة ، وفيها معامل
تكرير النفط . ومنها كانت هولندا والشركات الاحتكارية
الغربية تصعد البترول إلى أوروبا وأمريكا . وعندما بدأت
هولندا انسحب من أندونيسيا في أوائل عام ١٩٤٢ سقطت
حقول البترول وبعض معامل تكرير كيلا استغلها اليابانيون
في أعمالهم الحربية .

ومدينة (ناراكان) هي أول مدينة احتلتها القوات
التحالفية من القوات اليابانية خلال معارك الشرق الأقصى
التي أدت إلى انهيار اليابان في أغسطس عام ١٩٤٥ . وقد
احتلت القوات الامتريالية ثم سفنها قوات الهولندية التي
كانت سائرة خلف القوات المتحدة . ويظهر من هذا
التسليمية الدول الكبرى نحو استعمار الشرق واستعماره .
فهولندا التي انسحبت من أندونيسيا إثر زوال قوات
الابالاية فيها ، لم يبق لها سلطة أو سيادة على أندونيسيا .

ولكن الاستعمار الغربي يحاول بقوة السلاح إعادة السلطة
الهولندية إلى أندونيسيا ، تحتفظ له مركزه السياسي
والاقتصادي . وقد أثبتت الحوادث الكبرى التي حدثت في
أندونيسيا بعد إعلان استقلالها صحة هذا الرأي . فقد أدت
القوات التحالفية الجيوش الهولندية في احتلال بعض المدن
الأندونيسية الكبرى وشيت اقتطاعها في الجزر الأندونيسية .
كما أدى إلى حركة نحو الحياة الأندونيسية الحديثة . حياة
الحرية والاستقلال . حدثت الحوادث العسكرية وحرب
الصالحات بين التونين - الأندونيسية والهولندية -
واستمرت الاضطرابات في جميع أنحاء أندونيسيا خمس
سنوات .

واللغة الثانية من التواد العامة في هذه الجزيرة هي
الذهب . وتوجد في جنوب الجزيرة مناجم الذهب واستغلها
الشركات الغربية . وتحبس الحكومة الأندونيسية الآن
السياسة التي تشنها إزاء هذه الشركات الاحتكارية التي
تسيطر على الرافق العامة في أهم المدن الأندونيسية . والنية
متجهة نحو تأميم الشركات والصناع والمعادن التي تحتاج إليها
للقوة في عملية الحرية والعدالة ، ومويز أصحابها قدام
كما تحجب الشركات الأخرى نظم تحفظ حقوق المواطنين
في العمل الشريك .

ذكرت أيضاً أن الحياة الثقافية في جزيرة بورنيو
لم تقدم جيد . والسبب في ذلك هو السياسة الاستعمارية
الرابية إلى بقاء الشعب جيداً عن نور العلم . وقد ثبت فعلاً
أن بعض رجال التعليم الأندونيسيين حاولوا إدخال التعليم
الحديث في هذه الجزيرة فوجدوا معارضة من الحكومة
الهولندية . عوى إثارة الأفكار ضد سياستها . وكانت
هولندا تصرف على التعليم في أندونيسيا بزيادة بسيطة من
ميزانية حكومة الهند الشرقية . وعلى الولايات تعزيتها
هولندا الأراضي الواقعة وتبعها مروجاً خطيراً . وقد
أشهر الدكتور سوكارنو حين بدأ جهاده السياسي إلى الأموال
الطاقة التي تسحبها هولندا من أندونيسيا قاتلاً : «نحو محض
جسراً من ذهب من الأموال الأندونيسية التي سحبها
الحكومة الهولندية إلى هولندا من أندونيسيا . حيث يبدأ
الجسر من أندونيسيا إلى هولندا لكفى (١) ويبلغ عدد
سكان هذه الجزيرة مليون نسمة . محمد منير .

المؤرخ الجغرافي المسعودى

الأستاذ على آدم

الرؤية : وكثيراً ما تشبه الجغرافة المسرج وبشبه التلويح بالرواية التقليدية ، وهو تشبيه مأمور به الحق : وذلك لأن الرواية التقليدية صانع للتشكيل على مختلف المسارج ، ولكن روايات التاريخ لا تتلى سوى مرة واحدة على مسرحها الخاص . وهي تتأثر إلى حد ما بمصالح هذا المسرج . فرواية تاملون مثلاً فى أسبانيا أو روسيا أو مصر لا يمكن أن تتغلب إلا متأثرة بمسرح حوادثها فى أسبانيا وروسيا ومصر : ولا نزاع فى أن طبيعة البلاد الأسبانية أو الروسية أو الروسية أو الأرمنية المصرية كان لها أثر واضح فى إخراج الرواية وتبليها .

وظيفة الجغرافة متباعدة دراسة عامل هام من العوامل المؤثرة على شكل فى تكوين التاريخ ونسج خيوطه . ولذا لم يحاولوا بحور أعمال الناس وتكشف عن دقائق الفكر الخفى . وكما أريد الاستقصاء وأمن فى تحرى الحق ومعرفة الواقع وحده نفسه مضطراً إلى الإفادة من جهود الكثيرين الذين يمدون فى مناطق أخرى قريبة من منطقة بحثه : فهو فى حاجة إلى الإلمام بجهود الباحثين فى أصول السجلات والشعوب والأحاسن والباحثين عن مناسبات الفلك والمايات والأديان والمعتقدات . وكذلك هو فى حاجة إلى الإطلاع على النتائج التى يتوصل إليها الباحثون فى طبائع الأمكنة والبيئات وما توالى عليها من تغيرات ، ومن الواضح أن المؤرخ يستطيع أن يعقب دراسته وبشكل تجاريه وخبرته بلهم الناحية الجغرافية لشكله التاريخي . لأن التفكير الإنسانى أو العمل الإنسانى لا ينشأ ويتكون فى الفراغ ، وإنما لا بد له من بيئة تؤثر فيه تأثيرها وتطعمه بطايعها .

بين التاريخ والجغرافة علاقة صعبة ورابطة وثيقة . جعلت بعض الفكرين يذهبون إلى أن الفهم الصادق للتاريخ والتفسير الصحيح لا يكونان إلا عن طريق الحوث الجغرافية ، وأمن بعضهم ومدق بالمجربة الجغرافية . وحسبها وعندها كتابة لجلاء ما تحمضت أسبابه واستمرت دوافعه من أحداث التاريخ وطورهاته . وقد عارض هذا الرأى وتقدم وأظهر بطلان المؤرخ للمكر توبنى (١) . وقد شغلت مشكلة علاقة الإنسان ببيئته اليونان القديمة . وبدأ الأفلطون أن يصدر حكماً حاسماً فى الموضوع بالتمسك بزمته التالية فقال : « إن البلاد لا تحكم الناس ، وإنما الناس هم الذين يهيئون البلاد » (٢) . والواقع أن البيئة لم تسيطر قط على الإنسان سيطرة مطلقة . ولكن الإنسان مع ذلك استطاع أن يتغلب على تأثيرها تلباً تاماً . وأوضح فكرة جغرافية فى التاريخ أنها تدرس دراسة متشعبة ودقة عذبة لآلية تأديتها الخاصة وطرقها الفنية العملية — مجالات النشاط الإنسانى ومواقع الحوادث التاريخية : وإلا إزاحنا عن هذه المجالات ومجربات هذه المواقع لا يبرز على أصلنا اللون الخفى لهذه المجالات والمواقع لحسب : وإعنا يربنا كذلك كيف تأثر بها النشاط الإنسانى والحوادث التاريخية : وبما يلاحظ فى عالم الأدب أن تحول الروائيين الواقعيين مثل بارتك وفلوبير وغيرها يتجرون بدقة فى توصيف البيئة ورسم الأمكنة والواقع التى تدور فيها حوادث رواياتهم وأقسامهم حتى يشعر القارئ بالعلاقة الأكيدة بين طبيعة السكان والحوادث

(١) راجع من صفحة ٥٥ إلى صفحة ٥٩ من مختصر كتابه « دراسة فى التاريخ » "Study of History".
(٢) على هذا الرأى من الأفلطون البيئات أثره كيرشوف فى صفحة ٣ من كتابه « الإنسان والأرض » Man and Earth.

ولقد ذهب بعض الفكريين إلى أن التاريخ يبدأ حيث ينتهي عمل الجغرافية ، لأن الجغرافية تتناول الحقائق الطبيعية . ولكن هذا التصور للجغرافية يتوهم النفس : فبقية أن الجغرافية تدرس البلاد والأقطار من مختلف نواحيها وتحاول أن تنظم علاقاتها المقددة ، ويشمل ذلك ضرورة الحلل دراسة الإنسان . لأن الإنسان عامل في الأرض لا يمكن تجاهله : فالتاريخ والجغرافية كلاما في حاجة إلى الآخر . وقد كانت الجغرافية قديماً تعد السكان وتسمى السرح وتقدر بذلك . ولكن الإنسان استطاع أخيراً أن يكون له أثره في إعداد السكان ونهضة للسرح .

التاريخ في أكثر الأحيان بعيد من الجغرافية ويحاول أن يحلها . وهو دونت عنه الذي يتوهم اليونانيون أنه التاريخ يأتي فيه المؤرخ والجغرافي ، فقد كان رجال كثير الأقطار ، وقد طاف في أقطار الأرض المعروفة في عهده ، فزار عدداً عظيماً من مدنها عظمى كان إلى ولدها بلاد اليونان ، وزار مصر ، وحال في أسبانيا وألمانيا ووزار بلاد الفينيقيين ، وزار بابل وما حولها ، وعاش في كل بلاد القرس . وطاف بمواحل آسيا الصغرى . كما زار المستعمرات اليونانية في إيطاليا ، وقد وسعت هذه السياحات اتفاق تفكيره . وسملت عقله ، وتغذرت تخالجه . وأمدته بمعلومات وافرة . ومكنته من الإلمام بأشياء كثيرة ومشاهدات جمة . وأطلته على مصادر مختلفة للتاريخ . وسرت له استماع أخبار الرواة وقراءة الآثار المكتوبة وغير المكتوبة . وجعلت كتابه شاملاً تماماً لأعله القراء وتذوقوه على اختلاف ثقافتهم وبيان مداركهم ومساكنهم .

وفي طلبه مؤرخي العرب الذين يشبهون هيرودوت في الجمع بين التاريخ والجغرافية المؤرخ الصير على بن الحسين المعروف بالسعودي . فهو مؤرخ وأخباري من الطراز الأول : وهو في الوقت نفسه جغرافي راسخ القدم عالم

الكعب ، وصاحب أسفار بعيدة ، وجواب أقطار ثمانية قارية : وقد سبق للسعودي بعض مؤرخي العرب في الجمع بين معرفة التاريخ والتسكين من الجغرافية . مثل البغوي الذي ألف كتابه المشهور في التاريخ العام وألف كذلك كتاب البلدان . وقد جمع فيه ما عرفه بنفسه من أحوال البلدان في عصره ، لأنه عاش في الأقطار من حمص . وكان كما رأى رجلاً من تلك البلدان المشرق والقرب سأل عن وطنه ومعهده وأحوال أهله وأختلافهم وعاداتهم في الأكل والشرب ، وأبعاد البلاد ومبالغ الخراج وأخبار الفتح ، ويسوق ما وصل إليه حتى ألف كتاب البلدان : ومثل أبي زبد البجلي صاحب كتاب البدء والتاريخ وكتاب صور الأقاليم : وكان أكثر هؤلاء المؤرخين الجغرافيين يؤلفون كتباً في التاريخ وكتباً أخرى في الجغرافية ، ولكن منزه السعودى أن الجغرافي ينبغي صاحب على الدوام المؤرخ ، فهو ينظر الأمور ويأملها في الوقت نفسه بتواضع الجغرافي ، وهذه الحسنة هي التي يؤيد المصنف بين هيرودوت وبوجه خاص . وهي ماثلة في الكتابين المذكورين وسلا إلينا من مؤلفاته الكثيرة وما مروج الذهب والنفيس والإشراف .

والسعودي من أقدم مؤلفي القرن الرابع الهجري ومن أغزرهم مادة . وقد قل عنه محمد بن إسحاق الشيباني القهري أنه من أهل المغرب ، والطاهر أنه قد أخطأ في ذلك . فقد ذكر السعودى نفسه في الجزء الثاني من كتابه مروج الذهب ماضياً (١) . « وأوسط الأقاليم الإقليم الذي ولدنا به ، وإن كانت الأيام قد أنأت سينا وبنته ، وساحت مسافتنا عنه . وولدت في قلوبنا الحنين إليه . إذ كان وطننا ومستقانا : وهو إقليم بابل ، وقد كان هذا الإقليم عند ملوك الفرس حليلاً وقدره عظيماً . وكانت عاينهم إليه مصروفة . وكانوا يشنون بالعراق وأكثرهم يصيرون بالجلال . وذلك لما حسن به هذا الإقليم من كثرة مرافقه والغنائل أرضه .

(١) راجع صفحة ٦٥ من الجزء الثاني من كتاب مروج الذهب (الطبعة الثانية) يصحفي (الأشعار محمد يحيى ابن عبد الحميد) .

وغضارة عينه ، ومادة الواقفين إليه ، وهما دجلة والفرات ،
 ومحموم الأمن فيه ، وحده الحرف عنه ، وتوسطه الأقاليم
 السبعة ، وقد كانت الأوائل تشبه من العالم بالقلب من
 الجسد ، لأن أرضه من إقليم بابل الذي اشعبت الأراء من
 أهله بحكمة الأمور كما يقع ذلك على القلب ، وذلك اعتدات
 أيوان أهله ، واتحدت أجسامهم ، فقبلوا من شقرة الروم
 والعقابة ، وسواد الحبشة ، وغلب البربر ، ومن جفا من
 الأمم ، واجتمعت فيهم حماة جميع الأقطار ، وكلا امتدوا
 في الجلفة ، كذلك لقدوا في المطة واتسك بحاسن الأمور ،
 وأشرف هذا الإقليم مدينة السلام ، وبين حيز ما أصرت
 إليه الأقدار من فراق هذا العصر الذي غيى خفته فضلاء
 وفقهائه نجما ، لكنه الزمن الذي من شيعته التشييت ،
 والعصر الذي من شروطه الإبادة ، ولقد أحسن أبو دلف
 العجلي حيث يقول :

أيا تنكية العصر التي طلوت بنا

أفدى نسا في شربها والملاهي
 ففي يالئ نهوى فقسد طربت بالمر

http://www.alukah.net/beta/الاصحاح الثالث

وقد ذكر الحسبك - فإخرجنا إليه من هذا المي -
 أن من غلالة وفاء للرو ودولم نهده حينه إلى إخوانه ،
 وشوقه إلى أوطانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه ، وأن
 من خلاصة الرشد أن تكون النفوس إلى مولدها مشتاقة ،
 وإلى مسقط رأسها توافة ، وللاب والمادة قطع الرحلى
 عنه لعله وطنه ، وقد قال بعض حكاة العرب : عمر الله
 الشيطان يحب الأوطان ، وقالت الهند : حرمه بيلك عليك
 ككرمة والدريك ، لأن غداك منهما وعداها منه ، وقال
 آخر : أولى الشيطان ببيتك نك رحمت ماء وطعمت
 غداك ، وقال آخر : بيلك إلى موضع مولدك من كرم
 عديك .

وقد أعاد هذه القصة وخرب على هذا الوتر الحساس
 في كتابه « التنبية والإشراف » فقال حينئذ تحدث عن

العراق : « والصقع الذي مدينة السلام منه أفضل مواضع
 الأرض جمعا في الطب والنفذ ، وذلك أن أطيب خيرات
 الدنيا عد الأمن والعافية والعز والراحة سلاح الله والهواء ،
 ثم أفضل أنهار العالم دجلة والفرات ، وإن تازع في ذلك
 أهل مصر وقضايا بينهم ، وأطيب مواضع العلم في كل
 الأرض عند قياس قسما إليها إلى بعض وقياس بعض البلدان
 إلى بعض موضع اجتياح دجلة والفرات ، وذلك أن بعض
 اللواضع يطلب سيفه وتفسد شتاء لقنادا تنبع فيه من
 السكاس للهبة والمطلب الصناعية ، لشدة برده ودوام سقوط
 ثلجه ، ومنها ما يطلب شتاءه ويضد سيفه حتى يشعل الحر
 والبرد والقي والهوام عن تحشيش الزى بالياني والتصرف
 في المهن والصناعات ، وبين عليا بما دفنا إليه من معارفة
 هذا العصر الذي مولانا وفيه منشورا ، فبأت الأيام
 بطلنا وساحفت مسافانا عنه ، فبعثت الدار ، وترأخ
 المزار ، ولكنه الزمن الذي من شأنه التشييت والعصر

الذي من شروطه الافادة ، ولولا الشوق إلى الوطن
 والخروج إلى الدنيا لم يذكر ما ذكرناه من هذه

روائع من قلده أنه حرق الأصل والشتاء ، وقد
 ذكر بقوت في معجزة أنه من ولد الصغاري غيد الله بين
 مسعود ، وقد جاء مصر ورحل في طلب العلم إلى أقاصى
 البلاد ، فطاف في فارس وكرمان سنة ٣٠٩ هـ ، حتى استقر
 في إسطنبول ، وفي السنة التالية قصد الهند إلى عتال
 والصورة ، ثم عطف على كنيابة قصيوز فيسريدييه ،
 ومن هناك ركب البحر إلى بلاد الصين ، وطاف في البحر
 الهندي إلى مباحسكر ، وعاد إلى عمان ، ورحل رحلة
 أخرى سنة ٣١٤ إلى ما وراء أذربيجان وجرجان ، ثم إلى
 الشام وفلسطين ، وفي سنة ٣٣٢ زار أنطاكية والتفوز
 الشامية إلى دمشق ، واستقر أخيرا بصرى ، ونزل القسطنطينية
 سنة ٣٤٥ هـ ، وتوفي في السنة التالية ، وقد مكنته هذه
 الرحلات الجيدة والأسفار الشاقة من إعادة البعث

والانحصار ، وجمع للمعلومات التاريخية من مظاهرها ،
والخفايا الجغرافية من مصادرها الأصلية ، وكان على طول
مفاته للأستار كثير التأليف ، واسع الاطلاع متنوعة ،
وقد استطاع أن يكتب في موضوعات غني وعجيب بها ،
والكتابات للثبات وسلا اليان من مؤلفاته يدلان على ترائي
حدود معرفته ، وتعدد حوائث تفكيره ، فهو يبدو فيها
باحثاً جغرافياً ومؤرخاً أخبارياً ومكتكلاً جديلاً ، مفقاً
بالفوائد المختلفة والمذاهب الثابتة ، وقديماً حديثاً وأديباً
بارعاً ، كثير المفوظ حسن الاختيار لطريف التوافر
خائق الأخبار ، وهو على غزارة معلوماته خفيف
القل ، حذابي الأسلوب ، متما مبدعاً ، حسن السرد ،
واضح الحقبة ، ليس في أسلوبه التثني المجرى مخوض ،
ولا حياء ، ولا إملال ، بل فيه لغات وإعراق
وسلامة وبلاغة لم يشهدها الكتاب ، ولم يصدها
التعليل .

والظاهر أن أولى مؤلفاته السبعة هي كتاب أسطر
الزمان ومن ألبه الحدائق ، فهو كثير الإشارة إلى
والإحالة عليه ، ولكنه من أمثلة القصور وخفايا
الصيانة ، على أن كتابه الحافل المسمى مروج الذهب
ومعانن الجوهر ، يبقى في الدلالة على فضلته وتمكنه وسعة
فروعه .

وقد أوقف الفصول الأولى من كتابه هذا على ذكر
البدء والحليقة وفرد البرة من آدم إلى إبراهيم ، ثم تناول
الفترة بين المسيح والنبي محمد ، وأنبغ ذلك فصل من الهند
ومدد بحالها وسيرها وآرائها في العبادة ، وتناول ذلك
فصول عن الجغرافية الطبيعية والتاريخية تحدث فيها عن
الأرض والبحر ومبادئ الأنهار والجبال والأقاليم السبعة
وما والاها من الكواكب ، وكثيراً ما يستطر في هذه
الفصول ويذكر عن الأفاصيص العجيبة والأخبار للسترة ،
وقد اختص الصين فصل من فصول كتابه فيه تغدير لبياناتها
وأخلاق أهلها وسياساتهم ، وتكلم بعد ذلك عن أخبار البحار

وما جاولها من العجائب والألم ومراتب الثوك ، وتناول في
فصول تالية تاريخ ملوك السريانيين وملوك اللوصل وينبوي
والكلدانيين والفرس الأولى ثم ملوك الطوائف الاشعانيين
ثم ملوك الساسانية ، وانتقل بعد ذلك إلى أخبار اليونانيين
وحروب الاسكندر وذكر الدولة الرومانية ، وقد أفرد لها
ثلاثة فصول : الفصل الأول عن تاريخها قبل اعترافها بالبيعة
السيجية ، والفصل الثاني عن أباطرة بيضاقة السابقين
لظهور الإسلام ، والفصل الثالث عن الأباطرة الذين حكموا
بعد ظهور الإسلام حتى الوقت الذي ألف فيه كتابه وهو
سنة ٣٣٣ هجرية ، وتحدث في الفصول التالية عن مصر
وليها وأخبار الأسكندرية ، ثم عن السودان وأسلمهم
والصقالية ومساكنهم والإيراق والحلافة ، ثم اليمن وأنسائها
وملوك الحيرة وملوك الشام ، ودولات العرب وأساطيرها ،
وأخبار الكهان ، والبيوت المقدسة عند اليهود واليونان ،
والصقالية والفرس ، ثم تاريخ النبي محمد ونشأة الإسلام
والخدا والنبوة ، والدولة الأموية والدولة العباسية حتى
خلفاء الطبع ، وقد انتهى من كتابته سنة ست وثلاثين
والمائة ، إلى أن تأليف هذا الكتاب القيم استغرق أربع
سنوات .

ويمكن أن يستخلص من ذلك أنه السعوي قد جمع
بين دفتي كتابه القيم معلومات ضخمة وأخباراً كثيرة
ومشاهدات غنية ، ولكنه لم يظهر براعة مختارة في تسليق
هذه المعلومات ، وكانت تنقصه الحاسة الفنية التي تمكنه من
أن يخرج من هذه المعلومات المتناثرة والحقائق المتكثرة
كل ما يحتاج إلى أجزاء متناسق الأوصاف ، وكان على
ما يقهر سريع التصديق ، يعوزه قليل من الشك وبقلة
المنسكة النافذة ، وقد جعله ذلك يستهدف لفتات ابن
خلدون المأذمة في مقدمته ، ورغم ما يتألمه من عيوب
وما في فيه من نقص فإنه مع ذلك من مؤرخي الإسلام
الأفئاد المعبودين .

العامة في التحايا والمجاملات

الأستاذ أحمد طه السنوسي

التي استعملناها بتعبيراً من التوفى لسمها إلى محرم وقائه في هذه الحياة . أليس هذا يدل على تكتيك لهذا الشخص الذي نزهه ، أي أننا نقول له : لا تخزن ولا تفرق الشجن إلى قلبك فإنك ستتم حياة طيبة طمأنناً لما زاد في محرمك من هذا . ليت الزامل : . والعجيب أن الشفق أيضاً كثيراً ما يبنى أن يدفق في هذه البارة فيعرفه يبارها ويقونها كما يقونها الناس في مواقف التعزية والوت .

.. ثم تنتظر لهذا التي يقابلك في موسم من المواسم الكبرى كشم رمضان مثلاً ، فتهده تقول لك : (رمضان كريم) ، ولست أعرف لماذا يريد بذلك التعية . ومن أين جاء الكرم لرمضان وهو الذي يمنع الناس من الأكل ويشعل هاهم باله من الحر أو قلة من الله طوال ساعات النهار ؟ وإن معنا بأن رمضان كريم قول معنى ذلك أن الله تعالى قد جعل في هذا الشهر من الخير ما لا يحصى . ومن هنا يسمونه الشهر الكريم . وإن كان المراد بالكرم الضيق إلى أن هذا الشهر جليل أو أن الله تعالى يكرم فيه عباده الصائمين أو أنه شمر بكثر فيه كرم الناس بعضهم لبعض . فما دخل هذا كله في هذا الوقت ، وما معنى أن تقول عبارة كهذه في جو التحية شهر كل الناس يسلمون بأنهم مباركة وحليل وكريم لأن الكرم بكثر في ؟ ... ولكن للسؤال أن هذه عبارة استعملها الناس قديراً دون تبدل أو تحوير ... واللا حظ أيضاً أن الناس في جو هذه المناسبات يلقى على ملاحق أو زائر أو منسبه كثيراً من التحيات والمجاملات والتسليات ، فمن (رمضان كريم) إلى (كل علم وأتم خير) إلى (كيف الأحوال) إلى السؤال عن الصحة وعن فلان وفلانة ، إلى غير ذلك من الأشياء ، وهو إنما يلقى كل هذا دون توقف حتى يعمد للسمع أن يرد كلام من هذه التحايا والأسئلة والتسليات . فيمكنني بالرد على أولها وأوسطها وآخرها إن ما له ألا يلتزم الصمت تجاه هذا السيل الجارف والنيار الضيف ...

.. يلحظ المرء في التحايا والمجاملات العادية أموراً غريبة وظواهر غريبة ؟ فقد نلاحظ العوام على استعمال تعبيرات خاصة لهذه التحايا وتلك المجاملات دون بحث في دقة معناها أو أفعال صحتها أو صحة أسلوبها . وإذا هي سارية معروفة ليس الناس حقيقة معانيها ولو كان أسلوبها مضمناً بالأخطاء اللغوية أو اللفظية أو ما إلى ذلك ...

.. ففي التعزية مثلاً يقول هذا لذلك : (القية في حياتك) . والفهم من هذه العبارة أن البقية التي تلت من حياة التوفى ستأتي لك تزيد في محرمك . وهذا كلام غريب لو أننا وضعناه على الأسس العلمية والنايس الفكرية وفي معيار الدين وميزان الحقيقة ؟ وذلك لأن للفرد في التوفى أنه قد أكل حياته ، أي أن حياته قد انتهت إلى هذا الحد ، فما يبقى منها يوم ولا ساعة ولا دقيقة ، وهو يتبقى شيء من ذلك ليقى التوفى ليعم بها ، هذه هي الحقيقة التي استعملها الله والدين ، والرجل العاقل نفسه يعرفها ولا ينكرها لو سأله عنها ، وذلك أيضاً لأنه في تلك الحالة من التوفى والأموات ، فيقول مثلاً (فلان محرم انتهى) و (زه المحرم معدودة بامر) .. وغير ذلك من التعيرات . ففأما إذا يستعمل (القية في حياتك) وهي ذات معنى يتناقض مع المعنى الذي يعرفه والمهدف الذي يريد أن يعبر عنه ؟

.. إن السبب في ذلك أنه تعبير نواضع عليه العامة فصرى بهم دون تعديل أو تبدل ودون محاولة لإحداث شيء من هذا القبيل ... ولو سلمنا جدلاً بأن التوفى يبقى من حياته شيء لك وأنت تتلف في مواقف تعزيات كثيرة وتقال لك (البقية في حياتك) مئات الزرات من الأصدقاء والأحباب والمعارف والأزلاء والخزائن وغيرهم ، فكم بقية تبقى لك وإلى متى تستد حياتك زيادة عن محرم القدر وأعوامك المخطوطة في الكتاب السلطوري ؟ ثم إننا لو نظرنا بعين الحقيقة إلى هذا التعبير لم نجد فيه أي معنى من معاني التعزية ، اللهم إلا في إرجاء السرور إلى الشخص الذي نزهه بالبقية

ثم هيباً تمنع قليلاً في أساليب العامة حين يريد الواحد منهم أن يتأسف لذات جنابه أو خطأ وقع منه فيقول : (لا مؤاخذه) وهذا التعبير حى جداً ويستعمل ويتداول في الأوساط الشعبية كثيراً ؛ وذلك يرجع إلى كثرة ما يقع من الناس من أخطاء وما يتأون من ضلالتهم في مع سبب الحياة وأهمية اللزوم في البيوت وللصالح وفي الزلم والسليكات وفي المجالس ودور الحياة وغير ذلك من أمثلة الحياة العامة ؛ فجد أن هذا التعبير قد ضرب وجد شاذ ، فالعروض أن قائله يستدر فكيف به على من يستدر إليه لا مؤاخذه حتى ما قبل ١١ له يجرى على ألا يؤخذ ولا يتكلم ، والمضركا هو معروف إما أن يرجو القوم عما حدث ، وإما أن يتأسف لا وقع ، ولكن (لا مؤاخذه) ههنا ما فيها رجاء لغوي ولا تأسف على شيء وقع ، إنها إرغام وإجبار ، إنها أمر وإيقاف ، إنها صفة قوة ، وصيغ الاعتذار فيها الرقة وفيها نعمة الاستغفار وبرة الأسف والرجاء ...

ولكن للعرف أن هذا التعبير الصحيح يستعمل بكثرة على ذلك في ثبات الأُخبرت حين يريد الشخص الصالح أن يذكر شيئاً قبيحاً أو أمراً غير معهود بلو كان له رجاء على الحياة أو الآداب المعهودة للصالحين في جو الحياة ؛ ونحن لو بحثنا هذا التعبير في هذا السند أيضاً وجدناه غريباً في موضعه محلاً في ذوقه غير ملائم للقيام ؛ ذلك لأن معناه كما يتفق على الناس الاعتذار والتأسف ، ولزمه لا يتأسف قبل أن يقع منه الخطأ ، ولا يستدر إلا إذا نجا بالشأن للذوق أو الخارج عن حدود اللياقة والأخلاق ؛ وذلك لأن التأسف تابع للخطأ ، والاعتذار يقع عادة بعد الوقوع في ذلك الخطأ ، فكأن للرجاء أن يذكر أمراً قبيحاً أو كلاماً خارجاً عن الحدود الحلقية للتواضع عليها رغبته ومشيتة أي من محم ، فيعذر قبل أن يتحدث ويتأسف لما سوف يقوله من مطلق الكلام ولقوله ، فليس لذلك الاعتذار وذلك التأسف من موضع معقول أو علة مقبولة ؛ وذلك لأن الأمر الذي يجرى الاعتذار عن حدوثه لا يقع متعمداً وإلا لما وجب التأسف عليه ، وإنما هو يأتي عفواً وعن غير محم ، لما وجب الأسف واستحق قبول الاعتذار ، ثم ما دام المعاني يحدث عامياً مثله وقد وجد لديه

القانع لأن يذكر شيئاً قبيحاً أو خارجاً عن ذوق الجماعة واحترام المجلس ، فلماذا لا يستمع ويقول ما يريد ، ثم إنه سوف يقول هذا الذي يريد فلماذا يحذف كل لحظة جملات التأسف ولا مؤاخذه الاعتذار ...

تسبل ذلك أن (لا مؤاخذه) هذه في هذا الجو من المجالس وفي هذا الأسلوب من الكلام شيء يدل على احترام المجلس والمجالسين فيه ، ويدل على جلال الشخصية التي يتكلم ، كأنه دافع على انتباه الحضور ودليل على لياقة المتحدث في جذبهم إليه وإسائتهم إلى حديثه سواء أ كان قبيحاً أم غير قبيح ، فبيح ، فسيحاً أم غير فصيح ، وتسبل ذلك أيضاً أن هذا أسلوب تواضع على العامة وطريقة ذات على مهاجرتها الآاء القوام في مجالسهم التي كانوا يقدونها وأحاديثهم التي كانوا يقدون بها أوقاتهم ويرتجون بها دوافع السليم والشم ...

هذا قبل من كثير مما يستعمله العامة في تحييلهم وحيلاتهم ، وأردنا أن أشير إلى أن بعض اللغويين وكثيراً من أساليب اللغويين يستعملون هذه الأساليب وأمثالها دون أن يحدوا إلى ما فيها من أخطاء وما يحجبها من مغلل متباعدة ومخاطر بعيدة من مثابة لا يراد ، والعرش أن هناك من الأساليب الخفية السهلة البسطة الكثير مما يستعمل في جو اللغويين وما يمكن أن يستعمل في غير هذا الجو من أجواء ، والواجب على كل من جالس بتعيب من الثقافة أو نال قسطاً من العلوم سواء العلوم الثقافية أو العلوم الشعبية أن يتبدى تلك الأساليب التالية لما يريد ، وأن يحقق فيما يريد أن يدلي به وأن يكون مدأ بالأسباب التي دفعته إلى تبذ هذه الأساليب واستعمل تلك ؛ لأن ذلك يجعله دائماً شديد اليقظة والحذر دائم النفس والتدقيق في الأمور ، سواء أ كانت لغوية أم عملية ، يحكم قبل أن يتحدث ويتأق قبل أن يقدم ، ويتضمن قبل أن يدلي برأيه ويتريث قبل أن يقهر في لغة أوفى محاور وقبل أن يفرغ الشيل في مجاري عدة من الأخطاء والأخطاء ...

وأما ما كان من أمر المعاصي ، فله يقتصر ما يستطيع من تعبيرات اللطف والتعظيم في تحياله وعاملاته ؛ وذلك يترتب على حد تفكيره شيئاً مثالياً يدل على الاختلاط بجو اللغويين

والتأديين والتأديين يدل على سعة ذوقه وفكره، فنقل هذه الأساليب الخاصة، كما يدل على مساهمته في مشاركة هذه الفئات من التأديين والتفنيين في أساليب أساليبهم ومجاليهم ومقولاتهم، تريد على ذلك الناحية النفسية، إذ يشعر الماي خسر واعتزاز وانتفاع أوداج حين يستطيع أن يستعمل مجالات هذه الفئات ومجاليها، وحين يستطيع أن يفهم اللهجة التي تقال بها، كما أن ذلك يجعله على في المجلس الذي يجلس فيه أو الجماعة التي يجتمع بها لأنه شئ من التألف والمي، والتشوة مبررة لسهولة الاستيعاب وسيل لأحب للتدوين والتطور ودافع لحذف الأظفار وإهمال الألسنة، ودافع لتجرح الآخرين إلى الانقياد، به إن وجدوا في ذلك طرفة وحالا وجدته، وإلى الحسد أو الضيق إن كانت الحروب تحمل حسدا أو تعمل في منافسة، وفي الحسد والغيرة دواعي إلى التعادلات والتنازع وإلى الثروة والأحد والرياء وإلى التعادلات والاختلافات، وعلى هذا كله يقوم رأيي في كل من هذه الناحيات العامة في نحو هذه الجفائف وهذه الجواهر من الشعب.

يبد أن الدوس أن هذه الظاهرة في حرج الماي إلى الانقياس من مواصفات التأديين ومجاليهم النفسية، وذلك للمحافظة التي تعودت على العدم والاضمحلال، والرغبة والوآزين العامة والأصولية الحدية والوقوف في وضع السابقين من أبناء الشعب والعموم، ولكن هذه الظاهرة ترتقي مع الأيام، وذلك لأن الزمان يدفع إلى التطور وموا كدرك هذا التطور، تلك الماي يبدو ملحوساً في كل مظهر من مظاهر الدنيا ومحموساً في كل قديم من تقاليد الحياة، والدعاء عامل مهم كل الأهمية ومبررة مفهومة لكل الفهم في أولئك الفئات من العامة الذين يشدون لدى أنفسهم دوافع الانقياس والتأخذ من أجواء أهل العلم والثقافة، والمجمل منهم أن يسمدوا أمام عاصفة زيمالهم الصامة إن أثاروها منهم، واسين لما يخرج عن حدود اللياقة والعمارة والحفاقة والنسبة بأولئك الذين روى هم إلى يوم إلى المدرسة فطربهم مائي الفرققات، والتفاعلات وعندهم قراءة السكتب، وربما كان فيها من السداد والإقصاد ما لا يحدون وملا يهدون أن يستمعوا إليه، بيد أن ذلك أيضاً نادر، أي أنه ليست هناك عواصف كثيرة تثار أو تهب في أولئك

(المجددين) في مواصفات الحياة النفسية، وذلك أيضاً بخلاف التطور وغسل دمع الزمن والدفع الجود والتنازع صيغ الحضارة والتقدم رويداً رويداً من احتباس الأتقي وتقياب الطغلات ...

... ولحقاً أن يقول: إن تعال المانية ومجاليهم قد نواصوا عليها وتناولوها من قديم، وكل واحد منهم يفهم مدلول كل منها حق وإن كان لا يستيع ذوقاً أو يقبل منطقاً في جو الثقافة والتوسع في الإدراك، ولا بهم أن يحثوا هذه الأساليب أو أن يصلحوها، بيد أنني أستطيع أن أورد على هذا القول بأنه قد نسي أو تناسى ما يفرسه التطور وما تتطلبه اللدنية والتفانية في عصرنا هذا، كما أنه قد نسي أو تناسى أن المرض في هذه الحقبة الجديدة من الزمن أن ترقى ونسي في رقي الفئات التي لم ترق خطأ من التوسع الإدراكي أو التفكير الثقافي، وحسباً أن علم أن ذلك جرح عدا إلى أشكال هذه الفئات العامة من جو فيه تناقض في الحياة والواقعة، وأزهد على ذلك ملسق أن ذكرت من الفئات تلك في دفع هذه الفئات إلى الحذر واليقظة وما إلى ذلك من حذر في الحياة والواقعة، وما إلى ذلك من حذر في الحياة والواقعة، ثم إن الماي نفسه لا يشك في ذلك، بل في نفسه ومن زملائه النوام حين تذكر له تناقض أساليه في الحياة ومجاليها، وحين تفد له هذه الأساليب والتعاير عا وعبت من مقدرة وما أوتيت من برهان وما اتسم به منطقتك من حجة وإقناع ولما لك من بيان وتأثير ...

... إننا لنأسف على جو هذه الفئات العامة في الطرافة الثقافية والفكرية المعكرو، ولا نأسف على إبادة: لأن لدينا مواها ما يتقبل العقل واستيعبه اللطفي، ويتسجم معه اللوحي الإنساني السجام النحل مع زعيرات الرياض، ولأن هذه الأساليب لم تكن غلج للفرقة والطرافة إلا حين غبط القلم عن تناقضها العسبي وترويعها اللطفي، وقبل ذلك كانت منسقة مع دوق العامة مبررة مع منطقهم منسجمة مع أئستهم جارية مبررة في أجواء اختلافهم وسياهم غير قابلة للتناقض والحث والتعديل، وتعبير أدق لم يشكر أحد منهم في غير ذلك ...

أمر طه السمريني

الخليل

للأستاذ عبد السميع المصري

- ٤ -

المرأة في شعره

لقد عاش مطران حياته عزاء ، ورغم ذلك فقد كان
المرأة أحلى الآثر في حياته وبالتالي في شعره ، لأنه عرفها
ودرسها ، وأشاد بكنائنها عذبة ، لكاد لا يرى مثله في الشعر
العربي من قبله إلا نادراً .

والشعر العربي القديم في المرأة لم يكن حتى غالباً
إلا يفتن جديدها ، وأنت لا تكاد تجد بين جيلات الشعر
القديم لأنهن كهن ذوات وجوه كالذهب أو المشمش ،
وشعر كالليل ، وجنين كالصبيح ، وعند كل فرد من هؤلاء
الأوصاف الثلاثة للوحدة .

والمرأة في الشعر القديم غالباً ما تكون مبهمة ، لأنه
(ليس لتعجب البيان بين) ، أو كما قال النسي . مشيها
الفتيا بالمرأة :

فهي معشوقة على الدوام لا تحفظ عهداً ولا ضم وصلاً
ديم العائيات فيها لما أورد لها أنت اسمها الناس أم لا
أنا مطران قد درد للمرأة العربية كرامتها واعتبارها .
وأشاد بكنائنها من المجتمع في شعره حتى قال :

إن لم تكن أم فلا أمة وإنما للأهليات الأهم
وأول ما بلغت النظر في شعر مطران أنه حتى يحصل
المرأة قبل جديدها ، ويتم بحال عدتها قبل جمال جسمها ،
وما أروعه في ذلك حين يقول :

أناك الطيبين وبوره يغزل أفكارها الحاضرة ١
أناك العيون وأولورها مراراً لأفئدتها المارة ٢
أناك الشبلد وما قبلها سوى الأم والمملكترا ٣

أذاك القوام ومن حسنة قبل التمون له مشافرة ١
أذاك السفاف وما صفا نقره للقل الناطرة ٢
أو قوله في أخرى :

فاني من جملة الوجه طلقاً
لا يلقى والقدر لنا رغيلاً
فاني عقلها الذي يدع الحيا
طر روحاً وجبلاً وصوفاً
عني شديداً للسرير كما

نظم عقلاً في جديدها مندوقاً
عني شديداً للسرير كما

ولو شاء أمشي التوفيق
فاني من جملة طارئة من التالية الشهوة العاطفة في
ومرأة الفتاة إلى المرأة في واحدة العالم ديفنة المخلوط ،
فقد يقول :

لها شعر كالليل بلبل سواه
بيض نعلها بين التوحا
وعينان كالنجمين في حلك الدرس
عما عصمة الدنيا وتحتوتها عما
ولعذاب أجهل نحال أتممة

مصنعة غرام تحسك عظممة
ومترج عن عالم العاج حزن
كأن القوي قد يت فيه تشبه
وحصر إليه يتنوع رحيه سادها

وقد دق حتى خيل بالثوب أربما
فوزت أقيمت لالتمن أفتله الجني
تسأل فيلداً واسنوى متقوما

وسعد بغيرها وحرماً نصيراً له أثر في حياته كبير ،
وذكرى لم تنمها الأيام ... ذكرى ذلك الحب الساذج واللاهو
البري .

هل تذكرين ونحن طفلان
مهما برعنا كله غم
إلا يشفى في الكرم طلائع
بشاحن كان وياض الكرم

هل تذكرين بلادنا الحبا
حين التنقاه أطايب العنب
تعلو إبلنا في ثراها
وينا كنشوتها من الطرب
لكن الصبر لم يخل من هذه السعادة ، فاختطف هادي
الطائر صرخاً وأحلب الطائر نوعة وأنى صاعداً ما بقي من
الصبر ، وكان الصبر قد غل من هذه السعادة كما يقول

كأن كل دوسة غشا
بل زهرى لمصر نحاتنا
بل حبس برحة نسا
ولنا لنا عناقنا
نور الترام مع السدى اللبي
تت معانينا على قنار
فصحت عليها طيرة القيسر
أودت معاً بالعين والأثر
والميلت البالي من المير
ذكرى ونصرة لدى لب
ماتت وكل ضاحك جلد
ما لورى ولوت من جهنما
لا قلب يكبهنا ولا مفسد
بل نلها والثلث والأمل
وعساها وطهارة القلب

وقد عرف مطران الرأفة من الطريق الطيب ... طريق
الحب ... لقد أحب مطران معلماً ، وملاً الحب شغاف قلبه
ولرائع حياته ، وصنع نصيبه ، ولون شعره ، حتى إذا ليجل
إلى أن الحب كان أشد حياة مطران وأن حياة مطران
لم تكن إلا دعوة مصداق للحياة .
وهو القائل :

سوى الحب لا يشق القواد للكبشا
ولا بين الماء وإن كان مؤثرا
وما زال دوا القلب الحلى من الموى
كغلمان لا يروى له موزة علما
هو الشعر كاليفر يكسح الورى
يليل من الأحداث أفكر أعيا
قد أسعد الرومين أن يتلاقا
ويقتنبا فيه الأثر والقصا
كما يتلاقى في طريق عمرة
غريمان ثالث ثمة الحب
وكم عاشق يسأل رزايه بالموى
وقد يشفى وجع النفس لهما

كذلك وعمر راحة حسن كوكب
فأرجه ندى وحياء في الدنيا
ولئن قلب مطران قد هنا لكثيرات من النساء فقال
لمن شعر ، لكنه لم يتعلق سوى واحدة ، ولا عك في أنه
عرف غيرها ، لكنه لم يحب سواها ، ولم يخص الموى
إلا لها .

وقصة هذا الحب طويلة ، وسوادنا منقصة في ذواته ،
ولو أنه أقرد لها في الجزء الأول قصداً عاماً بعنوان
(قصة عاشقين) ، لكنني أعتقد أن هذه القصة أطول بكثير
من هذا القسم المحدد من الديوان .. إنها القصة التي تأسست
في صدره دائماً حين التي هذه القصة ، وقد لعلها قصة
قول :

أفندي من لعنا تحفة مطلب وردا
فتت الوجنة ورداً قالت ترشف ثيابها

وقد خارج مطران من موطنه بسبب هذا الرجز . كما
يظهر في قصيدته « مشاكلا » :

أرى مثل شهيد في الشوك

أحله به مشل به حدي ؟

يوم عباي من وجهه

ويهرب من هبته هرب ؟

وتجأل حسدا للفساد الرحب

إلا سنة فهو لم يرحب

وتأجبت نيران هذه الشعلة بفعل التراق ، فألحقت

مشاعر مطران ، وأضفت دهرآ طويلا . حتى « اطلت غصه

الأسى » ، واضططت نظرت للعباءة صيفا التشاؤم ، وعظم

حزله على حسه . حتى حال كل الوجود حزنا . فاطر

إليه نصف الغروب الذي تضي به النجوم والشعراء :

والغروب وما به من شبر

استهيم « صبرة » للسرور

أو ليس زحمة قلبك وصحرة

تقتس بين « صبرة »

أو ليس طمعا فلقين ومعضا

لذلك بين خلال المشاء ؟

أو ليس عموما لوجود إلى مدى

وذلك لعلم الأتسباء ؟

بل حتى لاوت غدا لسه قال :

من بالثوت لوالتر صبة

ذاك الأضالع مقل الجنب

لست الرربة فيك أودت في

فلموت من أثن ومن كره

وفرغت من تنس إلى ربه

وهو بعد تنس إلى في صبة أخرى :

إن لي في القيب إغاة قد نأى على قصورا

حيث من الإيالي من الصبح للسمرا

فإذا أودركته أظاء ش من وجهي السمرا

والحسدنا فظننسا تخرج روحين سودا

وظل مطران سائقا لهدمه « أكرأ حيه » ، وإذا كان
حزله قد تنافس مع الآلام إلا أن شلة الحب بقيت مضبوطة في
قلبه تنكس أشعها على أعمار رقة وعذوبة .

أعماله

قال الخليل :

وظل الر في دنيا من شغل إلى شغل

يُجسد من وعظما بحر الأعوام كالخلس

ومن حسنة إلى حسنة يعاودها بلا ملل

ثم أتى أمل إلى يأس . ومن يأس إلى أمل

ولا سعد ولا ملو . ولا يجد سوى العمل

وقد تمل الخليل ما قال ، وعاش حياته مجدا في العمل .

فأنج كثيرا في الشعر والأدب رغم مشاغله في دنيا

المسقة وذلك وميادين الاقتصاد المختلفة وإدارة المشاريع

للنوعة .

استمر الخليل رغم هذه الشاغل أن يهدي الأدب

الروايات العديدة من أعمال أبناء العرب : (كتابي القريد

في صفة) (الرواية) (الخرائط) (ليكتور هجو . وترجم

ليكتور مسرحيات (السيد) و (صبا) و (بولسكيت) .

وترجم لراسين رواية L'incomparable Dérénice

ولتكبير رواية الخالصة (عمت) و (ماكت) و (طيل)

و (الأمير البندقية) و (الملك لير) وغير ذلك من الترجمات

كما أصدر كتابه (مرآة الآلام) .

وكتب في غير الأدب فترجم « تعليم الإرادة » لابو

و « التاريخ الطبي » لليكتور ديري و « الوحد في علم

الاقتصاد » و « الأحوال الزراعية في القطر المصري »

وأخيرا أصدرت عدة تكملة الخليل ديوان شعره كاملا .

فما أحرى الخليل أن يوصف بقوله :

أبنت ذكرك في الفسح كرمأ

وقدبت نجدا وارتفعت مقبا

خير الجميع المعري

صور طريفة من معلقة قديعة

الطبيعة

الأستاذ جمال الدين الرمادي

فلنلق امرأ القيس على في الصحراء رويداً رويداً ،
ولنقف عند منابع الحسن وسابع الخيال فيها ، لا تقي ، إلا لأنه
قد وقف على معين من تلك غلا فريته ، ولا تقي ، إلا أننا
ربط أن لنهر هذه المعلقة الطالع أيام نصيبها من الحسن
والجبع .

تدعى امرؤ القيس بوج البحر أشية : مستع مخترع ،
والعلم إبداعه وإستراحه يجب أن تصور الصحراء القفر
المطيرة التي لا تقع فيها إلا على الرجال الصغراء والسياء
الزبداء ، أو أشياء التي تغرب عليها في أيام الأرض ،
والشعر المعلقة : **لقد امرأ القيس بشي الليل في هذه البيئة**
المحدودة بالبحر ...

ليس من شك في أنك توافقني على أن هذا التشبيه
مبتدع مخترع ، لأن امرأ القيس قد طوف في أنظاره
وشاهد البحر قرصت صورته في ذهنه حتى إذا جاءه إلى
وطه ، دلفع إلى هذا التشبيه طلقاً ...

وسدقني أنها القري : الموزون لا أذكر هذا البيت
إلا والحظ على لغوي ابتسامة عرضة أخاف أن تتحول إلى
ضحكة عالية مدوية في أرجاء للسكان ، ولست أخاف أن
أضحك لأن هذا البيت صعب حتى إنه يثبت على ابتسامة
الرائد ، أو قبيح حتى إنه يدنو إلى ضحكة الاستهزاء ، إنما
أبستم وأخاف أن أضحك لأنني أذكر ما كان بين غمزو بين
العاص وعمر بن الخطاب بعد أن مات امرؤ القيس بأعوام
طوال في وكوب البحر وغزو مصر ، والغرب كانوا يرهجون

... ويرش الليل مدولة على امرؤ القيس ويتقدم عليه
عبيداً قديماً ، فيضي في القلاة هبان الخليل يث الليل ما يعلج
في قلبه وما يخفي في صدره من عواطف ومشاعر ، أرحى
الليل عليه مدولة كوج البحر لهذا قدماً صغراً ، أصبر
أم يفتن ؟ أصرح أم عجز ؟ كان امرؤ القيس أسرع إلى
القنوط منه إلى الصبر ، وإلى الخوض منه إلى الترحيل ، قدما
الليل أن يصرح في سريانه والزمن أن يصرح في جرمه ،
ولكن امرأ القيس تصور أن الليل لا يهدم رجلاً إلا ليؤخر
أخرى ، ولا ينقض إلا ليهبط ، ولا يرفع صدى إلا ليعتدل
صدره ، ولا يأتي إلى وسطه إلا ليجمع إلى أوك ، فيقلبه
امرؤ القيس أن يسجل وأن يقتنع من الخلق باسم مشرق
سبح ، ليس كهذا الليل الذي تحفت فيه المصنوم وتكسفت
فيه الأفراس .

ولكن امرأ القيس يصرع إلى الليل وهو لا يسمع ،
فتجوده قد وقفت في الساء لا تحرك ولا تتقل ككأها قد
ثبتت بقتل حكم إلى ملود ضامخ يرمخ في قلب الصحراء ،
ذلك الظلود هو يذل ، وكان هذه المجموعة من النجوم التي
يطلقون عليها الثريا قد عسلت بأمراس كنان إلى أسجار
صخرية صماء ، فهي لا تحرك جهة الجبين أو جهة اليسار ،
ولا تتقدم إلى الأمام أو إلى الخلف ، ماذا ؟ ها هي ذى النجوم
الواقعة قد سارت ، وها هي ذى الثريا الثابتة قد تحركت ،
وها هو الليل القابع قد ارتفع وابتلى أول خيط من خيوط
الصباح ، والسكب التوز على امرؤ القيس فصره وهو
يشي في الصحراء رويداً رويداً ...

البحر . عمرو بن العاص كان لا يجد دافعا لهذه الزفة ،
وعمر بن الخطاب كان يجد دافعا لهذه الرحبة ، فقام بين
الاثنتين نقاش عفيف وجدافا حاصبا . عمرو بن العاص
يريد ركوب البحر ويخزي الحبش على ركوب البحر ، وعمر
لا يريد ركوبه ويخزي الحبش في شيء من الحدة وشيء من
العنف . ولم يقدح عمرأ من هذا الجدال إلا ذلك الوصف
الأدنى الذي وصف به البحر ، وفيه أنه خلق كبير يركبه
خلق صغير وما إلى ذلك ، واستطاع أخيرا أن يأخذ السباح
من عمر ركوبه مع من أراد من جسده ، ولكن عدم
ركوب البحر لا يمنع من معرفة البحر ، ولكن هذه المعرفة
لم تكن إلا لفظا ، الشعراء الذين ملووا في الأفاق وجاؤوا
شق الأمشاط وعلوا السواحل والشطآن وعرفوا غيبا عن
التجارة بين البلدان ...

وامرؤ القيس بعد ذلك التشبيه البديع المتخرج يصور
هومة وأجبانة التي ألقاها عليه الليل ليعر حل رأس أم صبر
وهل يشعل أم لا يشعل وصور حدة الليل في أنوار
قصص لطيف ملغف كاله عمر بن أبي ربيعة وعمر بنوف
في أسلوبه القصصي الجليل شعره ، وهو صوري في أسلوبه
وقد هبط بشدة على السكون في معنى سهل رقيق وإلى كان
في معنى صعب خشن ، ولكنه لا يلت أن يسهل وأن يبين
في البيت الذي يليه حين يدعو الليل إلى الانتشاع والانتشاع
الذي يصحبه الصباح السجد فيمضى الليل والليل جميلين
والبحرين

وتشبيه النجوم في ليلاتها كأنها قد شمتت إلى طود
خامخ تشبيه مصيب كل الإسمية بين لحنه الساعد الذي
خال به الأرق في زوال الليل وبين نهات النجوم في عيبه ،
وأنت تستطيع أن تقول هذا التشبيه كما قاله امرؤ القيس
منذ قرون قتال اليوم إعجابا وتقديرا مستطابا على شريطة
أن تغير لفظة ذيل النورية على أصابع أرباب العصر الحديث
النورية من أصابع أرباب العصر الجاهلي ، بل إلى أذكر أني
قرأت فيكتور هيجو الشاعر الفرنسي الرومانسي الشهير
قصيدة فيها بيت بهذا المعنى يصور فيه الليل في التلال بين
مونتزون ومانت لو في فرنسا .

وكذلك اعتقد أن تشبيه امرؤ القيس قويا تشبيه واضح
ما في هذا شك ، ولكن امرؤ القيس انتقل بعد ذلك إلى وصف
لقبته وهو يحل قريبه أو قرية محبة بتغير أدق ، وعنى في
رحلة عمر واد تلك طاو كزوى العير الوحشي لا يتفتح به ،
ولكن ما هذا الصوت البعث الشكر الذي يأتي من بعيد ،
فيسمى إليه امرؤ القيس ويسمى حتى يدنو منه ...

رأى ماذا وجد امرؤ القيس ، إنه ذهب يعوى كالرجل
القاهر الذي يقامر مع أنه صاحب أسرة وصاحب أبناء ،
يسمى امرؤ القيس إلى الدب غير هباب ، ويسمى الدب إلى
امرؤ القيس غير هباب ، ويدور بينهما حديث عجيب .

امرؤ القيس لا يبقى عن الدب شيئا والدب لا يبقى عن
امرؤ القيس شيئا . امرؤ القيس يطلب امرؤ . والدب
يطلب امرؤ . فلن يتبع أحدهما الآخر . ومن طلبه من امرؤ
القيس شيئا لن يتاله ومن طلب من الدب شيئا لن يتاله .
لن أبقي من أحدهما حيا فقد حب ومات حزلا ...

لنلق عند هذه الأبيات وقفة قصيرة ، فقد زعموا أنها
ليست لامرؤ القيس ، إنما هي لتأبط شرا أو الشفري من
صدايق الدب ، وهو زعم زاحج أنها ليست له ، لما عرف به
المرؤ القيس من السوء واحد ، ولكننا ذكرنا في العلاقة مع
الحل في الأبيات أني نلج إلى العلاقة ، وعلى أنه حال فلا يأت
تدل على البؤس والتفر ، والشاعر يحمل على عاقبة قرعة كاشع
وجوه القوم عند الرجل ، والشاعر يشد الوادي القفر يحوف
العير الوحشي الذي لا يجدي قبلا . والشاعر يطينا فكرة
خيلة عن الصحراء وما فيها من حيوان كبير جاسر كالذئب ،
وعن حياة العرب بين حر وقر ، والشاعر يصور الحديث
الذي جرى بينه وبين الدب في المألوف قصص لا تفو عن
جاذبية ، ويبين أنه لا يملك لذت شيئا كما لا يملك الدب له
شيئا ، مما يدل على الآخرة ويتم عن القبط والجذب الذي يتغل
في الصحراء ، والاستسلام الذي يتغل في خلق كل منهما لضاياع
كل ما يظفر به ويستحوذ عليه . وقد كتب البحري في
العصر العباسي قصيدة يصور فيها ما جرى بينه وبين الدب ،
تعدى من روايته وبذاته ، بل إن شعراء العرب قد كتبوا في
وصف وركاء حيواناتهم فصلا شئ ، فليس هذا القص غيبا

أو طيشاً ، وليس هذا اللون غريباً أو عجيبة ؛ ونحضر في الآن
 خمسة اللورد يرون الشاعر الإلهامى القانع الصيت يوجهها
 إلى كلبه الولي الأمين .

لنرجع إلى امرئ القيس وهو يحدو بحملاً صهوة
 جواده الضخم القمح ليدرك الوحوش ويقرب منها ، أو يصبح
 قنبل أهله منها كما يقولون ، أو يصبح تشابة القيد منها ، كما
 يريد أن يقول امرؤ القيس : والطير لا تزال في أوكنها في
 قنن الجبال ، وفرسه هذا يصلح للكر ، وصالح الفرس حسن
 الإقبال ، حسن الإقبال ، إذا ما عدا بنا كانه صخرة شاه
 قد حبرها السيل من القنن العالية ، وفرسه هذا أملس
 الظهر ، وعلى ضموه ونحوه إذا عدا جاش صوته كما يجيش
 القدر في غلبتها ، سول سلس العدو ، كما يسبح السحاب
 بالمطر في سهولة وسلاسة وإسرا ؛ على حين أن غيظه من
 الأفراس غتر قوتها ، وبني خدوها ، وتبر حوقاً هماً كنبها
 وغباراً منقاً ، وتزكن بأرجلها وكذا إذا عدت في أرض
 غليظة ، وفرسه يربح حتى إن الغلام الخفيف إذا ما امتلئ
 صوته سقط ، والرجل الضيف إذا ما امتلئ صوته

لم يبال أن يصلح ثيابه ويعدل قوامه ؛ وهو الذي يربح
 خفيف كالغروب الذي يلعب به السحاب كأنه كاتع
 علي وساقى غامية ، وكأن جريه جرى اللبث ، وتطوونه عيوب
 وله الثعلب ؛ وفرسه ذنب ما يبع صاف يعذر بين رجليه
 لا على خاشية ؛ وإذا كان قنناً عند البيت غير مرجح لاح
 ظهوره أملس كذلك البروس في منأها وملامها ، أو
 كالضالفة التي يمرض فوقها الخنظل فيلع ويسطع .

والواقع أن هذه الصور التي أتت بها امرؤ القيس في
 وصف فرسه صور فيها كثير من الحركة والحياة ؛ فرسه
 يجيش دون أن يستتبع في الجري ، أو يفرعه بالهوب ،
 وهو سهل الحركة ، كما يسبح الماء من السحاب في سهولة ؛
 والجواد حين يسقط الخفيف ويؤرجح الخفيف يفتنا إلى
 استحضار صور عدة ذكر لنا امرؤ القيس بعضها ، ودفعنا
 إلى ذكر البعض الآخر ؛ الجواد يبدو وعدو والغلام لونه
 يحاول أن يأخذ جمه قوته ويحيط أترانه ، فيقبض على زمامه
 ويشتد في قبضته ، فلا يخلع في شيء من هذا ، ولا يلبث
 أن يهوى على الأرض متدرجاً متحطماً أو كالخنظل ؛

والجواد يبدو بالخنثى الثقيل وهو يحاول أن ينسب لفته
 ويعتدل أطراف نوه التي تحلبها الريح حذوا وتنبها دفعا ،
 فلا يستطيع أن يفعل شيئاً من هذا ، ولذا أتى امرؤ القيس
 بعد ذلك بتشبيهات حتى لكشحي الفرس وتظهره ، وأكرم
 القنن يا سيدي أنك ستقت هذه الأوصاف التي لا نهاية لها ،
 ولكن صدق يا سيدي لو أن الشاعر أخلع هذه المعاني التي
 أرادها امرؤ القيس في وصف حلبة من حلبات السباق في
 الجزيرة ، أو مصر الحديثة ، أو سنووتج في أستراليا
 سلس وامنح قرب الأقطابنا وجهنا إليه شأ ، ولما وجدنا
 في شعره طعناً ، وصدق كذلك يا سيدي أن هذا ليس
 عبثاً ، أو ما يشبه العبث ، وليس طراً ، أو ما يشبه الطهور ،
 إنما هو جد اقتد ما يكون الجدة ، لا في الأدب العربي عجب ،
 بل في الأدب الأوربي أيضاً ؛ فقد قرغت منذ يومين من
 قراءة كتاب في صفات الحمار ألوه أحد الكتاب الحديثين
 في إنجلترا في حوالى خمسة مائة مائة واللوحات والصور .

جمال العربية الرمادية

مجلس مديرية الغربية

يقول عطاءات ثمانية للمائة ١٢
 من ظهر يوم ١٣ (ثلاثة عشر)
 شبتمبر ١٩٥٠ عن توريد الأدوات
 للمدرسية اللازمة (١) لمساعد مجلس
 مديرية الغربية (٢) وللزراعة لمساعد
 مجلس مديرية القوادية ، ويمكن الحصول
 على الشروط والكشوفات الخاصة بكل
 مجلس على حدة مقابل إقت
 ريد يسيلع ٥٠ مليم لكل حصة
 بضاف إلى مبلغ ٥٠ مليم أخسرة
 ريد . وتقدم الطابات على غرضها
 دمنة .

٥٦٦١

قصة بيتر إبتسون

للكاتب الإنجليزي : جورج دوموريه

ترجمة الأستاذ مبارك إبراهيم

ملأوا طرفاً ورقاً . وكان هناك ألباناء ولداه في القصب ،

وهم تلك الهبة والوداعة .

وقد صحت ذكريات تلك السنين فتأتى في مراحل حياته .

فصكت له تلك الذكريات كقشعة الشمس التي تضيء في دوح من القلم .

وكانت كل مرث خاطرة تذكر تلك الأخويات القرنية

التي خرج الرزق إلى أبواب السموات العلل . ثم تذكر

تلك الحادثة التي كانت مزاج آرائه ، ومزاج أخلاجه . ثم

تذكر تلك الساعات ، تلك (أول) التي كأنها كان مازحها

من فرياته التي تاتت بعده ، لم تتركها في قلبه .

www.alasra.com

وكان أحب أصحاب إليه ، وأزهره ، وآثره عنه ، هم

(آل سركيه) فكان الدكتور (سركيه) وزوجته

الإيرانية ، البقرة الشكي ، العظيمة للثكنون ، وأختها

(ميسرى) الطرقة القدام ، على الرغم مما بها من عذالة —

كان أولئك الثلاثة كلهم يومه وأهله .

وكان (جوجو) هو القاب الذي كان يتسمى به الصبي .

وكانت الفتاة (ميرسي) أحب (جوجو) عند النسيم والجنس

والتراب .

وكان (آل سركيه) والمحيطون بهم يزلزون بها بينهم

حققة ، لها الجاني ، وفيها الخير . وفيها السعادة .

ولكن المهر نصب بسعادة الصبي وعذاته يوم قل

أبواب وهو يقوم بجريته الشراع له ، كان يأمل أن يعود

عليه بالزاد المعين .

قال الكاتب :

إن هذه القصة سجل حوادث وقعت لرجل كان ذليل

مستلقي من مستشفيات الأمراض العقلية . وقد تمى به

إلى هناك لجوذة أجرتها . فهو إذاً ذليل من التراء .

المحرمين .

وقد سجلت هذه الذكريات وقتاً رغبة أبدأها (بيتر

إبتسون) وهو في ساعة الاحتضار . وطلب أن يسمي تلك

الذكريات كما كتبها كتاباً أول مرة .

وبذلك فإن (ماديح بلنكت) وهو الزاد المعين

من فرياته التي تاتت بعده ، لم تتركها في قلبه .

راحة الموت .

واستعرضت تلك الرأفة ذكرها عن (بيتر إبتسون)

الذي عرفه يوم كان طفلاً في الهند . قتلت ، إنه كان طفلاً

لم ير شيئاً أجمل منه أبداً . وكان تعلمه الروح . وكان

طرباً ذكياً .

وفي النسخة المطبوعة التي تركها لها سجل القصة تناولت

(ماديح) الأسماء بالتغير والتبدل . وتلت من حسن الحوادث

التي لا تلاء لها بالخلف والثير ، وهي — فبا خلا هذا —

قد أبحث الرسالة كما جرى بها فلم يكتبها .

وكان اسم صاحبة أول أمره (بير سركيه) لا (بيتر

إبتسون) كما تسمى فيما بعد . وقد عاش أيام طفولته الأولى

في مدينة (باس) وهي ضاحية من ضواحي باريس ، وكانت

تلك السنين مدينة بالخير والبركة . فكان هناك أصدقاء

وقريبه الذين لم يزلوا أطفال . وكان هناك جيرانه الذين

ثم لحقت به (مدام باسكية) بعد حين ، فبقى الصبي
يماضي ممراته اليتم .

ثم انتقل ليوبوف في كنف أحد أقرباء أمه ، هو
(الكولونيل روبر (إلسون) الذي كان قد أحب قبا
مضى (مدام باسكية) ، ولكنه خسرهما ليقتربها والد
(جوجو) .

أما الفتاة (ميسى) ، فقد كاد الحزن يبتلعها يوم
فارقها (بير) وانتقل إلى إنجلترا .

وأمر القبح عليه أن يخلعه بسبه ، فأصبح الصبي
(جوجو باسكية) يسمى باسم (بيتر إلسون) .

والى الصبي في إنجلترا مستوفياً من المال ، وظل أوثقاً
من الشقاء ، فكان يكره الوصي عليه كرهًا شديداً ، ذلك
لأنه كان رجلاً وسعياً شامخاً ، وكان غنائماً غزيراً ، وكان
يجمع بين القوم والحسة ، وكان - كما عرف الصبي يوم
كبر - خائفاً فاجراً . فقد ظن أنه من الخصائص العائلية
بذاتاً وذكوراً ، وقد ظن أنه من عرق من لم يهزم في الحيا
عمره من .

والتحق له أن رافض ذلك مرة أول مرة ثانية ، وكانت
من السيدات الغضبيات ، ثم قامت بينهما أوضاع الصحة :
لم يكتب بأن يخطب وعده لها بالزواج ، بل زاد على
ذلك بأن رماها كدأاً بأشنع التهم ، ولما بلغ (بيتر)
بلغ الشباب خلف وراءه هذا الرجل وسافر ليقتحم
جديداً يخدم سيدة واحدة في جيش الملكة كواحد من
الفرسان .

ولما انتهى أجل الخدمة تلتذذ على مهندس معماري اسمه
(مستر لتوت) وقال معه يدوس وحمل في مدينة
(بنوتويل) وهي تلك المدينة الصغيرة التي رايت عليها
الكتابة .

وشب (بيتر) فني ، وضى النطفة ، صحيح الوجه ،
ويطالع الحثي ، سبط القوام ، سوى الخلق ، ولكنه كان
يجمع إلى ذلك عباء شديداً ، وفردة إنساني ، فأصبح

يتأذى عن الطلاق والأصحاب ، وكان يحس لذلك شقاء
لا حد له ، وكان يدم الناس والزمان ، وكان عن شبه
غير راض .

ثم علق بالقنول ، ولكن ماذا تفعل القنول بين
انقطع عن الناس ، وانقطع عنه الناس ؟

واتفق له أن رأى لأول مرة (دوقة تورز) وذلك
يوم كانت في حلبة الرضا ، قامت في بيت مرسى بيوت
الاستغرافية ، وقد جن الفلق بالسوق لأول ظلمة ،
ولفن بها ، وأصبح عند هواها ، ولكنه لم يتحدث
إليها ، ولم يكن يأمل أن يراها مرة أخرى ، ولكنها -
على الرغم من ذلك - قد ملكت عليه له ، فكان
يراه في أحلام اليقظة ، وكان يراها إذا لها وأخذته سبة
من النوم .

(أشبهت القلب هوى روح فيه وهي)
وأخيراً استطاع أن يجمع دألاً ينطبع به السفر
إلى باريس ، فها هو ذا إلى (باريس) وهي تلك الناحية
التي كانت تسمى مطوطة ، ثم يعرفه أحد غير تلك
التي كانت تسمى المطوطة ، التي كان يغضب عليه الأفاضل أنهم
مطوطة .

وفي باريس رأى (دوقة تورز) التي شفته حياً ، وأنها
وهي تسوق عزمها ، وظن أنها قد عرفت .

فها جن القبل رأى في الدام رؤيا سادقة ، رأى أنه التقى
بالسوقة وأنه تحدث إليها ، ورأى أنها علمت كيف يحلم أعلاماً
التحقق ، ورأى أنه قد ذكر راجعاً إلى أيام مطوطة ، وأنه
رأى صاحبته أنه لم يسلم أنه ، فاحتق فيها ، وامتسقت
هو من نومه .

ومدة تلك الليلة أصبحت به قدرة على أن يحكي نفسه
- كما أراد - دنيا غير دنياه حته ، وأن يعود إلى الأهم
السعيدة التي كان يتم بها .

وبعد ذلك إلى لندن تلقى دعوة إلى مأدبة عظم في البيت
الذي لى فيه الدوقة لأول مرة ، وعلم أن (ماري تورز)

لم تكن إلا الآلة (سيركسية) وهي ليست إلا مغنيتها
(ميسس) بينها وبينها.

وفي حديث له مع الفتوة أعلن لها - غير عاشر -
أنه (جونجو) الصغير قد شب وكبر .

ولكن (ماري) كانت أقل منه دعشة ، ذلك لأنها قد
تيفت فيه مشابهة لجونجو عندما التقيا لأول مرة .

ودعينا كلاماً إذاً عما أن رؤي في الليلة السابقة ، وهي
أنه التقى وإياها في باريس ، قد رأتها هي في منامها .

وباحت له (ماري) بكون سرها ، فحالت إياها لم تكن
جاء أماً ، وإياها طالت تذكره على مر الأيام . وإن رؤيا

جها في طفولتها قد كانت لها موزة في إبان عمتها ،
يوم تزوجت ولحداً سكرتيراً ، ويوم رزئت بولادة طفل

معه .

ثم لفتها . وعاد (بيتر) إلى عالم حقائقه ، صبر رأيه
الحواسل عن (ماري) ، ولكنه تولى دليلاً أعلامه . يوم

ظرفها .

وفي تلك الآونة رأى (ميسز) ، وفيه أصبح
(ميسز جريغوري) ، وكان يمشي وحيداً ، وكان يمشي

أحس هي أن لا بد له من قراءة .

وكان الخطاب قد بحث في إلهيا (الكولونيل إلسون) ،
وقد ضمنه كذبة خبيثة مؤداها أن والده (بيتر) كانت

عشيقته ، وأن (بيتر) كان ولده غير الشرعي ، لأن جون
(بيتر) من القبط على ما تلى أمه من فتش وتخير .

ثم مضى (بيتر) إلى (الكولونيل إلسون) وفي يوم
الخطاب ، ولما واصلوه (الكولونيل) بالصبر والخط من

قد رأته . أحوى عليه بغيره من صلاة فكانت الفرصة
المناسبة .

وأي (بيتر) أن يعيد على سامع المقتنين ألقاظ التعبير
التي رمت بها أمه . والتي كانت السبب في اعتدائه على

(الكولونيل) ، فلم يذ القضا له حظاً محظاً ، فحكوا
عليه بالقتل .

فراى في المنام (ماري) فأخبرته أن الحكم سوف يخفف
إلى عقوبة السجن مدى الحياة ، وأبانه كذلك أن زوجها

وولدها الصغير قد ماتا ، وأنها وإن تكن تحصلها عن
(بيتر) جذبان المجن ، فإنهما يستطيعان أن يلتقيا في

علم الرقبة .

وقد تحقق ما أنبأته به (ماري) ، وعاش (بيتر) في
السجن خسة ونشرون عاماً ، وهو سعيد غاية السعادة ،

فكان يفتي وإياها كل ليلة في ذلك البيت الجليل الذي
كان يتبعهما وحدهما طفلان .

ثم توفقتا - في المنام - على لغة سرية ، فكانا
يراسلان بها .

وصرت تلك السلوك السعيدة ، من الصحاب ، وبرح
كلامها في من الأحلام براسة لا حد لها ، حتى لقد استطاعا

أن يحكما القصور فكرهما راجعة إلى دهر أسلافهما
الآنسعين فيما مضى ، الأخفاء والآباء ، والتحدث إليهم .

ولكن باب السرور قد توجب مقاديرهم مالت (ماري) ،
لأنه الحزن طغى (بيتر) فاعتدى على حرامه ، فقتل من

المجن إلى مستحيل الخالوب .

وأصابته من عزة وفن الموت ، ولكنه لم يمت . ثم
عادته نوبة الحلم ، وكان في أعلامه القاسية يرسل دائماً في

حلل الشباب ، وهو اليوم قد تله الكيسر ، فأصبح يرى
في منامه أنه شيخ منهم ، يوم على وجهه فوق شواطئ

بركة (أولي) ، وأن امرأة محبوا تنظره هناك ، وأن
تلك الصبوز هي ... ماري ... وأنها قد عادت إليه من

العالم الآخر لترسيه بالصبر ، والتعلق بالأمل ، لأن يدرى
فلعلها أن يلتقيا مرة أخرى ...

وكذلك عاش هو بقية حياته ، وعذالة الأحلام ،
فكان في كل ليلة يعود يذكره إلى تلك اللعالي التي أحب .

وكان طيف (ماري) يزوره حيناً بعد حين ، فكان
يُسمى بالسعادة تغمره كما عاوده الأمل : أن قد يجمع

الله الشقيين ...

(عن الإنجليزية)

ببارك إبراهيم



كانت لنا أيام

ديوان شعر للشاعر السوري عمر النص

١٢٦ صفحة - الطبعة الثانية - دمشق

للأستاذ محمد عبد النبي حسن

من عثر الطريق ، ودوى الضجيج فيقول :
وقدت على القلوب منذ الصبح
أسوب الترى وأبسيل النظر*
وعادوا إليك وحمل الساء
ومضى الفضاء وغام البحر*
وما بقي أطوار من المجهول
وما بقي خيال ضيغ حذر ..
ومارلت تم أمسة الميدين
وأصرخ : ربي متى أبغض ؟
ومارلت أخشى عثر الطريق
وأخشى الضجيج وأخشى القفر

وإذا كان الشاعر (عمر النص) قد أصبته السنون ،
أو أصب هو نفسه بهذه النظرات الكثبات وهذا
التشاؤم الذي لا أحد له مسوغا - مهما كانت مناسباته
وملابساته - فإنه قد أصيب معه حتى كادت أسقط من
الإيمان ، وأنا أقرأ ديوانه مرة ومرة وحرة .
ولم أجد في أسلوب الشاعر تعبا ولا إعياء ؛ ولم أجد في
تلك الصياغة الشعرية المهككة نسيا ولا رهقا ؛ ولم أجد في
نسبة الشاعر لإجهادا ولا تقهيدا ، ولكن وجدت أنا في
في الإنسانية ، وميلاني في التعاطفة قد ذهب شيئا .

ألا فبطلتني هذه الشاعر على الله ومحمداته ؛ فإن أراءه
بجارية خشية أن يدين الزمان هذه الأثبات فلا تعد من حسن
شأن في زحام الحياة وضجة الأيام . وأراءه يسأل في تنفص
وتطلع فيقول :
من ترى يصني إذا رآه
حين تبتدى العين بالندى
حين يأوى الشير للوك
ولكن هذا الشاعر غني عن حيرة السؤال ؛ فإن في
ديوانه كله أحاسيا متطاولا متطاولا مع العبر ومع الشعر ومع
البر .. وستظل كل أدب أصعب إلها في تكوين ، وستتوغلها
في لغة ، وستبقى على صاحبها الذي ينزل من ديوانه لغة
واحدة هي لغة الحب الطاهر للتحرق ، الخلف الوهمي ،
للحب المكذوب ، الباكي على أمسه ، الترحي من غده .
ولم يسعدني الخط لأن أحرقه عن الشاعر شيئا قبل أن
يهدى إلى ديوان الجديد ؛ صاحبته في « الانتظار »
و « الحرمان » ، وفي « السأم » و « الناقص » وفي « المباد »
و « زقرة اليأس » ... وصاحبته في غير ذلك من قصائد
الديوان التي تحمل عنوان تنوء بأعياء السنين ؛ فأرأته قلما
ينوبه فطرة فطرة على (أيام) كانت له ؛ وشوق إلى
(غفر) يعرقه بالقرار جد أن أكاد السير والثرى ، وقد
أن أحال فتطلع فيها وراء الأمان . ولكنه لا يزال مختلفا

ألم القلب شاع : فما يزده

لذاته الحياة وزعمو النظر

ولقد حدث الله عند بلوغ هذين الضنين - على أن
الشاعر عمر النسي - شاباً بالأساس - وإنما هو شيخ نال
من الحياة وثالث منه ، وشيع منها وشيعت منه ... فلا خير
عليه بعد ذلك إلى ربي أسفه ، أو ندب نفسه ... ولا خير
عليه - بعد ذلك - إن قسوتاً عليه قسلاً : يا شيخ ! فم
البكاء ، وفيه هذه اللفظة العارمة ، وفيه هذه الزفرة العظيمة ..
وقد شيعت من الحياة . ثم شيعت منها باعتراقله وإقراره ،
فلم تعد تكتفي معك - مهما كنت بارعة في الاستيلاء -
على قياتك التي لن يموت ...

وتد يقول قائل : إن الشاعر هنا يعالج تجربة شعورية
خاصة به ، فما دله يقيم الدنيا ويضعها من أجل نفسه ، وما دله
يتصور أن الأرض منطبق عليها السماء لأن شاعراً ؟ كانت
له أيام ، ثم فتح عليه على الأفق ، وعلى الفضاء ، وعلى
النفس والحاضر والمستقبل ، فإذا هذه الأيام قد ذهبت إلى
خير عودة ، وذهبت إلى غير رجعة !

ولكننا حيناً - أعني الناس - لنا أيام ! وسائق
في القلب على مائدة الحرب بعد طول الجوب ... نحيل النظر
فلا يرى غير ظلام السماء وهو يطبق على النهاية . فإذا
استطاع شاعر - كالأمستاف عمر النسي - أن يجر عن
نماعة الحياة ، وفراق الحياة ، وبأس الحياة ، وخداع الحياة
بالسبة إليه فقد استطاع أن يجر عن ذلك جميعاً بالنسبة إلى
كل واحد منا - منا نحن الحيارى المذنبين في إيه قد نشغلنا
عنه قليلاً بعض أقدار الطريق ...

ومن هنا لم تكن « أيام » عمر النسي أيامه وحده ،
ولا كان ما به له وحده ، ولا كانت محاولته من الحياة مخاوفه
وحده ، وإنما هي شبكة كل إنسان ، وعلة كل موجود .

يتطلع الشاعر عمر النسي في ديوانه الحزين إلى الماضي ؟
ولكن هذه النظرات لا تشغله عن التطلع إلى « القد » .
وتطلعه إلى الأمل هو تطلع التجسر . أما نظامه إلى « القد »
فهو تطلع مشوب بالحرق أولاً ، ومقرون بالحيلة ثانياً ..
لأن الشاعر يصوره أخضر يائساً ، فإذا هو مقترن موحش
كئيب كما يقول :

وأحزن ثراباً ، واستند على الرمل سراه . ووجدت في
الشاعر رجلاً قد آتاه الدهر بأحالة ، وأتاح عليه بأفاته .
فراح يندب « أيامه » في أنغام حورية ، غائبة ، باكية .
فراح لم يجد ما يفره في البقاء أو يلجأ في العيش قبل :
أيها الطبيعة الذي يدب بين ديبساي وبحري !
هلكت القلب الذي أشبعته أثمرت فخر
لم يجد بسلك ما يجر إلى من العيش وغيرها
وذا لو يعلم لم يدب ... ولكن كيف يدري
نزي من يكون هذا الشاعر للصور الذي أولد أن
يقف إلى أولاد السود الحزين ، وثراً جديداً ؟ ترى من
يكون هذا الإنسان القلب الذي لم تفر في من خلال ديوانه
ومضة واحدة بأمل جديد ؟ وهلا أتق من التسويع شيئاً
(لعله) ؟ أو ترك في قرارة الكاس شيئاً لندعه هنا
بعدنا عن غسه ، وبعرفنا بهيته يقول :

أنا شيخ أدب في شعب الأثر

من وأخضر بحرين وفراق

أزوي في الحياة أذكر دنيا

في وأحيا في إلهيات الشغل

أشعر الذكريات بين يدي

من وأزوي الحزن في استعراق

وعلى اللقطين نظيرة يائي

خلفتها الكرب فوق حدائق

أنا شيخ آمل بالأرض سائماً

في ، وأملوي الحياة في إنشاق

فهو هنا يعترف بشيخوخة يستعيد في ظلماتها إشراف
ماض قديم ، وهو في مطلع آخريين قسبة أخرى يتساءل :
هل أوغلت في ظلام الكبير ؟ وهل شاخ القلب فلم يجد
يسنوه غداً ، ولا يزده الحياة غداً .

ويقول في أساطير الحزن الرمين :

ترى هل أضعت الطريق السوي

وأوغلت في ظلمات الكبير ؟

أولئك زمانات التي والنداء

وأشعر درب التندى والرهز ؟

ومات التندى في الرمي واليقاع

وجلس الحرف خلال الشجر

مستكين هذا الشاعر في إسلام نفسه قبل هذه المواقف
والمواقف التي تليها العكر . وتغير العقل وتصل ما بقي
من الصبر . وإن كان يتظاهر أماما بالصبر . ويستقبل
مالا به منه كأه حقيقه وأصله . وسدح الاستسلام الحرف
والرحمة ... فبقول :

أنا ظنر غيباً إذا ذوى عود
د وتمر الخريف بالآذواني
تؤلف من دى قبيلة صميم
خلقتهم الأبيهم في أمراق
أيها الخريف لا أرحب إلا
بح .. فمئة باليوم والإراق ..
الريح التي أوصلت دوى
في دعول ورقية والتلياني .

الحرف دائماً هو آفة هذا الشاعر التي جعلت إليه
خلق مراحل الصبر على مزج موصول . ولم ينادوه الحرف
على في شيخوخته التي ميزها شعره ...

فما إلى أن توهم الحياة ملاة ملومة بالرب . فلا
تصل دوراً من تحت الأمان . أو لغة من لسان
المشاك ... أو الخيال إلى أنه « أمان » مسروق في الأمانة .
أو « شحيح » مبالغ في الشح . يلفظ على أملاك . للثاني «
وتوقه يجل خلق في القرب حاته ... اسمه وهو يقول :

أخافه أضاف أن يملوى غلام التماس ليلاني
ويركني على الأرض بلا مغفر ولا آثر
يلين العزم استعدي من الحرامني أيساني
إذا ما أوما للبحر ثرت عليه فلتاني
وجود لشاعري كبري الأدمى وكبرالز ... فليأنا إلى
الصبر وإلى التفكير ... ولكن هذا كله ملاه لا يفدنا عن
شعور الحرف في نفس الشاعر مهما كان مثل الشطح الآن .
فديتك أيها القلب أنت تراعى من دهرك ؟
أنت تحاف أن تفسى أنت تلتك في صبرك ؟
لقد يدك بك التأي فليأنا كان من أمرك ؟
وقد روتك الشعر فكذلك كبري من كرك ؟
فلو أن الشعر كد يمين من كبر الشاعر صفاً لا صفناً

أما بعد فمر بكلمة بشقي . وخلق من ذلك الصبر يقول :
وكما يخلق في نصبة أخرى :
وقعت الأوبار أملي غشي . فإذا الحجا فيه نصبة
أما حية الأولى في هلقا القد الرغب . والصورة التي
تعملها الشاعر له حفرها . موزنة فليأنا هي على القد من
ذلك . والتلف الحبيب إلى استكراف القد ...
أما ذلك كله فقد عبر عنه الشاعر أملي وأجل صبر
في قوله :

وكان لنا شعدا الشرمي
عبد خطاه ونشفر
وزمفه بالفضيل الأوب
وبرصقه القلب والحبر
تلتته أخضر الصنن
يروح به السور والكنور
ولم تشره رؤى من خوا
وزمته أسل بره
تبعته في العساء القبر
ولم تغمض أسل السور
فأبغضه القلب بعب الحبل
يعدق به ونشفر
فلما رأى عاديكي حواء
ولعمم = تمة . إلى مقدر

وأبام الشاعر التي (كانت) هي صبر (الرعب) الحلو
الربني حين يدبر . وهذه الرغب الخوف الحبيب للأمان
هو صبر « الخريف » ... الخريف الذي يهاه الشاعر
ويحاول أن يجد منه مهراً . ولكنه مدركه .. كليل
النايلة الدياني الذي يقول فيه العنان :

فإنك كالليل الذي هو مدركي
وإن قلت أن التأي حثك واسع
وما أشد خوف شاعرنا عمر التأي وهو يقول :
فديتك قد أطل « خريف » عمرى
فأين ! نهوى منه ونشفر

أشام الدنيا والتسكن تسرى في حلال أدبها (كانت لنا أيام) - ولكن لنفها فكيف تشار من الدين يقول فيهم القرآن : (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) . . .

ولقد عجز الخوف لشاعرها « بحر الصن » من الأوهام في الحياة ما كان يحل فيها معنى الوجود وقبلة الوجود - حتى صارت الحياة في نظره ، وأصبحت الميراث أمام عينه هباء في هباء .

هباء في الدنيا عدا في الرأى

هباء حسنة كل ما لنا الرأى

وعند النظرة « الهائلة » القلبية في سمو الوث وأخت العلم . ومن القائل مع القوة الخفية التي يجب أن يتسلح بها الإنسان - ولو كان خائفاً ... وأنى إنسان حي نوى معتم بالحياة يرعى أن يرد مع الشاعر عمر النضر قوله : في فضاء تحوس أخيلة الطورث وفي جاني أحس فتالاً وعلى مقالي يتعد اليأس بين وعمرى مع الدعوى طار

وعلى الرغم من أشام اليأس والخوف وحشة الأمل التي تشيع في ديوان (كانت لنا أيام) من روحها - ومنه الشاعر استطاع في مدخل ونوعه شاعره أن يصبغ صوراً حالية من الحياة - ولو أنه قد استغل في تلك الصور الفكرة الباعية لاستطاع أن يصبغ الصورة في هبوب حسنة ولا يقوان لائل : كيف يصور الشاعر لسانه في بحر من أشراق الحياة . فإن الشاعر لا شك قد جرب في (أيامه) الظلمة كثيراً موت السرور الذي جادته اليوم ليكنه ... وما الذي أمكنه وهو حزين في مقامه البعيد عن أن يستمتع بأشام حياته ؟ حتى إذا ولت هذه الأيام عاد يتعها في ديوانه (كانت لنا أيام) .

ألم أقل لك إن للشاعر « بحر الصن » آثاء و دليل الأمانة أنه لم يتركها منه في أفراس ماضيه السعيد ، ثم يجره اليوم فيسركها منه في الآلة وسأوسه وعطوله من عند ومرض كل ذلك علينا فرسناً ...

ولا أدري لماذا أعجبت بهذا الديوان قراءه أكثر من مرة . وجملة مدحوني في شهر رمضان ، شهر السك

والعبادة ؟ قد تبعه الإنسان بالألأ لأنه يظلم من خراب النفس البشرية الملوثة ... ولعلنا ذلك هو البلى حسب إلى ديوان « كانت لنا أيام » . أو إلى أشيا أخرى أقد دفعتني إلى قراءة حققة الشعر الحزين دقماً ، فوجدت من قرأته طراً وسروراً . . .

ولا أدري لماذا سررت في جو غاني الحسرات والمفغات ؟ ولعل شاعرها الأستاذ عمر الصن ، وأسأله العزى الرضين للشرى ، وصده عن في الصبر عن الآلام . هي مبحث ذلك الطرب والسرور .

ثبت بعد ذلك كفة تتعنى الضراعة أن أحسها ... فلو خلا هذا الديوان العزى التصريح من جعل الضرورات وخطأ البناء القوي لكانت عليه السكال . . .

في صفحة ١٢ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .

في صفحة ٣٥ : أشام لان ، وصوابها « الجملان » .
في صفحة ٣٦ : أشاف ، وصوابها « أشاف » .
في صفحة ٣٦ : أشاف ، وصوابها « أشاف » .
في صفحة ٣٦ : أشاف ، وصوابها « أشاف » .
في صفحة ٣٦ : أشاف ، وصوابها « أشاف » .
في صفحة ٣٦ : أشاف ، وصوابها « أشاف » .

في صفحة ٣٦ : أشاف ، وصوابها « أشاف » .

في صفحة ٣٦ : أشاف ، وصوابها « أشاف » .

في صفحة ٣٦ : أشاف ، وصوابها « أشاف » .

في صفحة ٣٦ : أشاف ، وصوابها « أشاف » .

في صفحة ٣٦ : أشاف ، وصوابها « أشاف » .

سندباد إلى الغرب

تالیف الدكتور حسین فوزی

دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٥٠

لاذکٲور حسین مؤنس

فمن وجه الإحساس مرآة عينا - وإلى لأجيب كيف
 اشتقاق هذا الشكل للبلد أن يقع من الإضافة في الصور
 والصور ذلك للبلغ الذي يمكنه من أن يصف أجواء متباينة
 يتقل الإنسان معها من أتينا إلى التورماني ، ومن رودس
 إلى لندن ، ومن روما إلى مولد السيد البدوي ، في حقة
 وصف وإيجاز ، وطوع له أن يقلق قارئه من عوار الشك
 حيث التوج والألم إلى سهول مصر ، حيث الحوار الكبد
 النائي ، والحر الذي غم على الأفق ، ويكنم الأتقي ،
 وهو إذا عذبت عن « القبلة المضاغة » في تورمانيا ،
 وسوار لك ، الحار الناس في منوار (دوائر) شاهن لرنس
 متقاعد ، دورا عذبت سورة من حياتهم وما يشعرون ، من
 على العبد ، أو حين عذبتك عن مدينته مافرسون
 الشاعر من الطوة ورسد الحرب ، أو عن كترس حمر
 ساموس القليلة المضاغة التي شربها قبل أن يحد إلى
 أذكروول ، شعرته في كل كلمة يقولها أنه فإن أسبق
 يستطيع لمحبين من ريفته الشائع أن يبالغ إلى حيث
 يريد إلى العمق الذي يريد ... ويكتشف قارئه عن ثقافة واسعة
 والملاح جيد لا تدهما عدد أكثر من قراءه من الكاتبين
 والعربية ، بل تشعر أن الكاتب يستلهم وجهه ويقتبس
 الأنواء التي يوزعها بين سطوره من عالم غربي خالين
 لا يتاح الوصول إليه إلا من شرب هذه المضاغة من عارها
 الواسعة ، وظاف فيها طوائف المتبدلين بخور القافية ...
 وحق في النصول التي يبعث فيها من أشيا مصرعة ممتدة
 كبد السيد البدوي ، أو دوائر الفن في مصر ، تشعر أن

كان من حقى أن تقرأ هذا الكتاب الفريد وأما
 أنفصل بين مناصت الفن وروائع الإبداع الإبداعي في
 فلورنسا ، فحكيت أشهر كتاباً هذه الفصول التي أقرأها
 وتلك الآثار التي أراها قد سبقت جميعها من مادة واحدة ،
 ولم أكن أشعر أن هناك أى فارق بين فصل « للطارد » ،
 أو صورة « الموحى الصبح » ، أو مقال « الفن العرى » ،
 وبين تشال « سان جيور جيو » ، لوتابو ، أو مقال
 « الغراء والطفل » ، لوكا دلاروسا ، كلها ابتكارات
 لطيفة صمدت عن غيوس مرحة. أوسع الله علينا في فهم
 الإحساس الكامل والحب الهللي والحب السليم والصدق
 الصادق ، طرت أيديها بالرشقة أو الأوسيل أو العنق
 سهوة وسر ، وأبدعت مشاهد الله لها أن تدع من لطائف
 الكتابة والتصوير والكتابة . أجل ، أحسنت وأنا أقرأ هذا
 الكتاب في ذلك الجو الذي الخلخل أن حادة الفن واحدة ،
 وأن هذا الذي كتب هذه السطور ، إنما هو مصور
 رسم بالقلم والسكيات ، وموسيقى تطوى كأنه على نغم
 ونشيد ، وما عليك إلا أن تقرأ فصوله عن « لا فلوغا »
 و« موتسارت » و« بيتهوفن » ، حتى تشعر أنها سمفونيات
 مكتوبة ، لأن هذا الإحساس الكامل بعظمة موسيقى عظيم
 مثل موتسارت لا تضاهى إلا غنى موسيقية حافلة بالذات
 الألحان ...

ولا مانع إذا قامت إحداهما لم تأخر من سنوات كتاباً عربياً
تأخر قسراً وأحدث فيها من الاتصالات ما أحدث هذا
الكتاب وإن كان مطبوعه بطوى في فكرة تستر

إن كلامه في هذا الفصل يدل على أن الأسابيع التي جرت
بالقصر لا بد قد جرت على أنوار القشيرة بسوناتات
للموسيقى العظيم . وشارك في عزى رابعياته . لأن هذه
الغزلية في الإحساس لا تصعد عن العقل الفسح ،
بل عن القلب النابض . ومن هذا الغزلة أحاديث عن
موسىات وهواة الموسيقى الغربية في مصر . وما إلى
ذلك . مما لا يبعد إلا عن موسيقى مطبوع ولسان وآخر
الإحساس ...

إن أكبر ما يقرب هذا الكتاب من نفسى ويجعلنى
أعود إلى مطالعة فصوله مرة بعد مرة هي هذه الزفة
الغربية التي يزرع إليها الدكتور حسين فوزى فيه ، زفة
صادقة صريحة قوية . تدل على أن صاحبها يشاركنا الإيمان في
أننا لن نصل إلى ما نحبو إليه من رقى إلا إذا اتبعنا
وجهة غربية حاصلة . ونحققنا من أعباء هذا التراث
القيس الذي يشل حركتنا عن السير ونقف بنا في
موضع الطريق . فلا نحن مستطيعون حت الماضي
فريق في ظلام . ولا نحن قادرون على أن نلاحق العصر
الذي نعيش فيه .

ذلك كتاب قوامه بالدواعي والجواهر . ومهما تكن
وجهة نظر قارئه . ومهما يكن اتجاهه في الحياة . فهو
خارج من قراءته بطلاقة من الأعمال تنفع أكثر من
قراءة أى كتاب مريح يستجنى عطف القراء بالضحك في
ذكرات عاطفية ماضية .

حسين مؤنس



أسأله يتبعون هناك في إصريق المدينة ، وإيطاليا في عصر
النهضة ، وألمانيا في أيام جيشه وشكر ، والنسب في أيام
موسىات وبينوفن ... لشعره أنه نهل من هذه النايح
القيامة واعتدى بخبرها وأنه حتى أصبح جزءاً من كيانه .
من هنا لا غرابة أن تشعر وأنت تقرأه أنك تسبح
من طبه وإحساسه القنى في بحر زاهر يبعث في نفسك
لونا من النشوة قبلما تشعر به وأنت تقرأ كتاباً عربياً
آخر ...

أجل ، وما أسأله وهو يتحدث إليك عن أهم العقولة
وصف لك نفسه طفلاً يصنع طائرة من الورق ليحبها في
المواء ويخلق معها عقل الطفل في أحوال القضاء . إنه
يصل يومه هذا إلى أبداع وأدق ما بلغه الراسيون في
الغربية . لأنه يجمع الصدق والبساطة والعمق في النظرة في
آن واحد . وما أسأله حيناً يصف لك الشعور الذي أرق
به مرة ليتمتع للندل . فإياه — وكان إذ ذاك صبياً —
وأجلسه ووضع على رأسه خرقه وأمداه فحماً . وطس إليه
أن يصف ما يرى . فلم ير سوى شيئاً . ويصل إلى النذل
خبره ليؤثر في خياله المسمى . ويصوره أنه يرى في
قاع القنجان سارق النسي . الضائع : فأصر المسمى على أنه
لا يرى شيئاً . فرفع الرجال الحرقه عن رأسه وقال لمن
حوله كنى يتولى عن الحية : « الولد أدرك ! » . وهو
يريد بذلك أن المسمى قد بلغ مبلغ الرجال . فلم تعد الشياطين
نوحى له بالأسرار . ولكن حسين فوزى يريد بذلك أن
« الولد بلغ الإدراك العقل » . وأصبح يميز بين الحقيقة
والخيال . ولم يجد سوى إلا ما تراه عيناه لا ما يهوس له به
خياله البقير . هذه غفلة غبية بارعة لا تصبر إلا عن ذهن
حساس مرهف قادر على أن يصل إلى أعمق الأشياء :
قد رأينا عملية للندل جميعاً . ولكن الفنان وحده
هو الذى يستطيع أن يصل إلى هذا العمق في النظر
والتصور .

ثم انظر إليه يتحدث عن بينوفن . بل يصل في محرابه .



هيرونا والطفل

عن لين بوناغ

ترجمة الأديب حسين أحمد أمين

هيرونا : نعم .. إن كراهيتهم لنا لا أكبر من كراهيتهم
لنظريين .

الطفل : ولم هذا ؟ هل تعلمهم بأمر ما يعلمهم
الأوروبيون ؟

هيرونا : لا أعلم كيف كنت عن قلب هذا المحيط حول أميائك ؟
الطفل : ولماذا ؟ بكرهونا بينما نحن نريد أن نصبح

هيرونا : من أجل الماشوكو .

الطفل : هل الماشوكو بلاذخ أم بلاذخ ؟

هيرونا : لقد عدت إلى اللعب بالمحيط ثانية .. إن يفتأ
منه تسقط على السجادة فتجعلها قذرة .

الطفل : وما هي الطاهر التي متجدها سداقتنا ثم ؟

هيرونا : سترضهم لك وتودهم بالمشترين .

الطفل : أليس لديهم مستشارون أوروبيون ؟ هل تريد

أوروبا أن تصادى الصين أيضاً ؟ هل سترضونها ذلك ؟

هيرونا : أجل .. ولكن يجب علينا أن نعلمهم .. يجب
عليك أن نعلمهم أنه إذا أقرضت أوروبا مالا للصين

فسيستعرونها .

الطفل : وإذا أقرضنا نحن مالا للصين ؟

هيرونا : إذا أقرضنا نحن مالا للصين فإنا نريد من وراء
ذلك أن نتخذ منهم أصدقاء .. وأن نساعدهم .

الطفل : أي .. من الذي سيأتي اليوم لتناول مأك
الشاي ؟

هيرونا : وأنت شاعهي .

الطفل : من هو وأنت شاعهي ؟

هيرونا : إنه صيني .

الطفل : هل تتخذ نفسك أصدقاء من الصينيين ؟

يا أي ندم أخبرني أن الصينيين أنك تتلقى من الصينيين

يكثير .. كما أن مدرسا قد افتاد أن يرض علينا كل يوم

أحدث فترة عن هؤلاء الصينيين .

هيرونا : من الأفضل أن نملك من الحديث وتكلمت .

الطفل : هل لي أن أتناول معك الشاي ؟ إلى أين تريد أن

أرى وأنت شاعهي .

هيرونا : حسناً .. لك أن تأتي على أن تكلم عن توجيه

الأستاذ .. ومع ذلك طبعاً اليوم ميمور حول العلاقات

بين اليابان والصين ولن نعلم من أمر هذا الحديث شيئاً .

الطفل : هل .. من الصعب على أن أقهر العلاقات بين

اليابان والصين ؟

هيرونا : جداً .

الطفل : لماذا هي مستعصية على الفهم ؟

هيرونا : إننا نريد أن نتخذ منهم أصدقاء وهم لا يريدون .

الطفل : ولماذا ؟ هل بكرهونا ؟

الطفل : إذا ، فالصبيان يقولون أن يتخضوا منا لك
على أن يتخضوا من الأوربيين .

هيرونا : كلا . إياهم لن يتخضوا منا إلا إذا أخبرناهم
على ذلك .

الطفل : إن هذا الوقت مضحك حقاً . ولماذا يحيرهم
على أن يتقبلوا منا العونة إذا كانوا لا يريدونها ؟

هيرونا : لا تخض إصبعك في قك .. إنك لم تذهب إلى
طبيب الأسنان بعد .

الطفل : حساً جداً يا أبي . ولكن خبري : لفرض
أنك مريض هل كنت تقي في البلبين ؟

هيرونا : إنك ترى يا عزيزي أننا لسنا بأمة منهم عاماً .
وليكننا الآن نريد أن نحددهم . نريد أن نخرجهم لك
ونقدم بالاستشارين . نريد أن نرود بلادهم بالبوليس ، وأن
نشر فيها النظام .

الطفل : إننا نريد أن نجعلهم يصرون بحقيقة نيائنا .
الطفل : وما هي حقيقة نيائنا ؟

هيرونا : أيها الأحمق .. لقد أخبرتك سلاً عنها ..
إننا نريد أن يعلم وأج شامخاي الآن أننا نريد مساهمتهم .

الطفل : وهل وأج شامخاي أحمق ؟
هيرونا : كيف تجرؤ على هذا القول ؟ يا رجل متفكر .

ومن كدرك العقلاء في بلادهم .
الطفل : هل أستطيع أن أكون في المستقبل مثل
وأج شامخاي ؟

هيرونا : بإمكانك هذا إذا اجتهدت في دروسك .
الطفل : لفرض أبي وأج شامخاي ، فكيف تتوي
أن تخبرني عن نبات بلادنا الحقيقية ؟

هيرونا : سأوضح لك كيفية إمدادنا لكم بالمال
والاستشاريين العسكريين والبوليس حتى يستب في بلادكم
النظام .

الطفل : خبري يا أبي .. لماذا يصرون على منح الصين
هذه العونة ؟ لم لا تتركوها وعاشها ؟

هيرونا : حسناً .. إننا نريد أن نستولي على جميع
البحر الصينية ونطرد الأوربيين من الصين .. نريد أن
تبيع لهم منتجاتنا ، ونستطاعهم شراء الكثير منها ، وأنجعلنا
معهم معبد للعبادة . فقد قدام حرب بينا وبين الروس يجب
أن لمح الصين إلى منافقنا . وليس لدينا الحديد أو القطن

أو الطماط . وليس لدينا من الطعام ما يكفي لإمداد الجنود
أكثر من اثني عشر شهراً . وفي الصين ما يسد هذا
الفجوة .. يجب أن نحارب الروس في الصين .

الطفل : إنك لن تحب واج شامخاي بكل هذا . أليس
كذلك ؟

هيرونا : بما أنك ابن لأحد الديبلوماسيين يجب عليك
أن تعلم أننا مشير الديبلوماسيين لا نقول ما نري إليه ، ولكننا
نعتقد أن فهم أ كاذب الآخرين بسرعة وفقة .

وأج شامخاي في حانة إلى أن أخيره ما أخبرتك إليه .
الطفل : بالله كاته ! ولكن برحمتي أن تسمى هذه
الحاجة ؟

هيرونا : سنسعى لا بد عهد جديد لتعاون بين الصين
واليابان على أساس من الصداقة المشتركة والقدم المشتركة لأجل
الحرص على استتباب السلام في آسيا والعالم أجمع .

الطفل : أوه . بالله من شيء مشير إليه من تسمى عظيم ؟
من أين بعثت كل هذا ؟ هل عبقولة في المدرسة أن تتطق
هذه الكلمات الخال ؟

هيرونا : هذا هو ما تخيلك بموسنتك إياه كل يوم في
الدراسات . ولكن الإنسان يولد بديبلوماسيته
ولا يتعلمها .

الطفل : أوه ؟ ما أعطيتك يا والدي ! ولكن لفرض
أن وأج شامخاي رأى كل ما نرى إليه حقيقة ورفض
مساعدة اليابان .. فكيف تحصل على التجارة الصينية ؟

هيرونا : عتد ذلك بنظر الجيش الإمبراطوري في الأمر .
الطفل : ولكن في الانتماء إلى الجيش ما يحض الصداقة
التي نريد نوطيتها بين البلدين .. إن ذلك سيحطيم
بكرهونا أكثر من ذي قبل . هل تحب للطريقة التي
يتبعها الجيش الإمبراطوري ؟

هيرونا : (بسرعة) هس .. هس . لا تجعل أحداً
يسمعتك تقول هذا القول . أرى أنه من الجيد أن تسرع
تذهب إلى طبيب الأسنان .. وحذار أن نرى بأطراف
تلك أو الجيوب على الأرض .

(يلتفت الطفل خطه ومن قلبه من الأرض وينضمهما
في حيدته بخار الترفة .

هيرونا يتنفس الصعداء) .
صبيح أمر أمي

غضب حسناء

قلت عليك حين كنت أوثقا
لا شيء أحسن من نوم الحليتنا
قلت كلا ! ولكن الهوى صب
وبس نوم نوري نوم الحليتنا
قلت : حرام علينا أن نتكلم
عالمنا ؟ يا ترى ؟ هل أنت قاتلنا ؟
قلت غافا : أرى ماساكم أبدأ
وكيف أقدر ؟ وأظن يشعيا !
إن الخلاف رأى لا خلاف هوى !
ما أكثر الخلاف من غاو وهوننا
فابتسمت حين سمع الورد من مرج

وأفتر : ثم حملت ذات يوما
وتحت بدلال الحسن قائلة :
نحن الحليتنا نوم النسيم عابدا
... ..

فتاة ؟ ...

إلى - على ربح الجوى والحد -
أجبت في حاجبك الأرج
السائر الحليتي دون عهد
والسائر السائر كل نوح
وفي رجال اللحظ ذات الحد
وفي العيون البارقة الدمع
وصحرة فائقة في الحد
إذا تحطرت زعت في الرج
وقدك الصنوع وفق القصد
وكفلسو مكومر مومج

ورحم بهت وسط التهد
فيفسر الرأى بسيم إلى
وتعيد في غيدك الحد
لنحر كل جانب وفج
أقسم بالجمال أن شئتني
فقال حسن الرؤى والحج
تصير قلوب ككوت الحد
تبه في طلال مفا الصبح
تبدو ولكن لا تترك تدي
كلها مرقى دون مني
(بسم الله الرحمن الرحيم)

إلى المنتصرة

وحيث دعيت قد ملت حي
وحيث بقى أمان الشباب
أقول أقسى الهوى في الضياء
وبومر حوى طواف الأمن والقداب
نحن الحليتنا نوم النسيم عابدا
ت وماتت أقال وعاشت رخاب
وحيث فقدت زلت زهراني
وخف هواني وولى الشباب
وحيث خا في الملوذ الضياء
وغلام السبا في ركام القراب
وقد صبح في مقلتي القوان
وشاه فؤادي جذبا السراب
فرحت ألقى ولا من حجب
وأدعو ولكن سامن جواب
وذاقت لبان حاتم حيان
وقلبي الزليق صوف الإهاب
ورعت ألقى وبني النشد
وأصرخ : هل يا ترى من مآب ؟
زهر أمر